

مجلة المجمع العلمي العربي

أيار وحزيران سنة ١٩٤٦ جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٦٥

(١)

من عمل المجمعين

رأيت ألا ينفرط عقد هذا الحفل الكريم قبل أن أحدثكم حديثاً يهتم له من يحرص على سلامة العربية ويسر لانشارها ووفائها بأغراض أمة متحضرة . آتيكم بمثال مما يعمل أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، لا أقصد به الذود عن قصور قد ارتكبناه ، ولا أن أباهي بما تم على أيدينا وما أشار اليه الأستاذ الرئيس ، والأستاذ أمين السر يجزي في هذا الباب . وأريد أن أقرر فقط ان عمل المجمع لا ينتهي في عقود قليلة من السنين لأنه عمل شاق طويل . وكما يحتاج تحصيل العلم الى أعوام يقتضي للاتاج فيه أعواماً وأعواماً . وتجويد كل عمل موقوف على أمور كثيرة وقد يعرف صاحب العمل نواقصه أكثر من غيره . المجالس في العادة تتناقش في المعاني ونحن معاشر المجمعين أو اللغويين قضت علينا صناعتنا ان نقصر مناقشاتنا في الألفاظ والسعيد منا من يأتي بكلمات تستسيغها الأذواق جميعاً وتدخل في الكتب المدرسية من أيسر سبيل تصل الى عقول الناشئة ، وكل لفظ تسارع الصحف الى تبنيه يكتب له الرواج ، وعمل المجمع

(١) ألتبت في مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة في اليوم الرابع عشر من يناير

١٩٤٦ (١٠ صفر ١٣٦٥)

محدود المهمة في نحت الألفاظ ، وعليه ترك البناء للمهندسين والبنائين ، ولسان حال كل واحد منا « عليّ نحت القوافي من معادنها » فنحن اذاً نحاتون لا بناؤون نستخرج من الأتقاض أو المقالع ما يحسن استخدامه في البنية الجديدة ، أعاننا الله على ما نلتقى من عنت وتعب .

لا ترون رصيفاً من رصفاي يداخله اليأس من الظفر بطأته مهاشقت الثقة لبلوغ المقصود بل تشهدونه مقتبلاً مسروراً بما يرجو ان يقع عليه في مناجم اللغة وركازها . ونحن بعد ذلك اذا وفقنا الى تحقيق جزء صغير من أمانينا في بث الفصيح ونبد العاصي والأعجمي عددنا أنفسنا مخترعين ولكن لا من عيار مخترع الراديو والراديو مثلاً .

فالواحد منا اذا تعلقت همته بايجاد كلمة تقابل الكلمة الافرنجية شائعة في لغات العلم على عهدنا ولم يوفق الى ايجادها يندب سوء حظّه ويقف حيران « وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه » واذا عثر على لفظ ظنه موافقاً لغرضه في أداء المعنى الذي يريد ان يقابله بمثله يفرح ولا فرحة المحب بلقاء حبيبه وقد طال افتراقها . وأجمل ساعات المجمع ساعة يتناقش فيها أعضاؤه في وضع كلمة ، وبعج بأصوات الموالين والمعارضين ، وكل واحد يتصدى للدلاء برأيه بما يستخرج من محفوظه من الألفاظ . ومع ما يلاقي المجمعون من العناء في تحقيق غرضهم الشريف يعترض عليهم من يعرف ومن لا يعرف ويهزأ بعملهم كل من يبدو له أن يتسلى ، والكل يطالبونه بالسكّال المطبق ، كأن أعمال المجمع كلها كملت ولم يبق منها ناقص الجهاز الا هذا المجمع الحديث .

ويج المجمع كم لقي من سخريه بعض الصحف التي ما تعففت عن أن تغمزّه الفينة بعد الفينة لتضحك قراءها . وقد يما كانت المجمع العلمية موضوع دعابة لا يعذرنا على بطئها في اخراج اعمالها الا الراسخون في العلم من صفت نفوسهم عن الأغراض وحبّ الانصاف اليهم .

وغفر الله لي بقدر ما دافعت عن المجمع في مصر والشام لتبرئته من التهمة التي ألصقوها به ظلماً ونسبوا اليه وضع لفظ « شاطر والمشطور والكامخ بينهما » لكلمة سندويتش . وأعترف أنني ما تمكنت من اقناع متعنت لأن هذه الكلمة المالصقة بالمجمع هي عندهم من الأدلة على عدم معرفته أو على الأقل على قلة ذوقه . وما زالت التهمة بجالها حتى شهدتها تتسلل من الصحف الى الكتب ، لتثبت دعواهم على عدم اضطلاع المجمع بما وسد اليه . وكل من أحب ان يتندر الينا يغمزنا غمزة خفيفة ليزكرنا حفظه الله بما ارتكبناه من اثم بوضع هذه اللفظة « الوحشة » والله يتوب على العاصي اذا اناب ، أما بعض الآدميين فقل ان يتسامحوا بهفوة يهفوها انسان وهم يتفاضون عن جماع حسناته .

وغير تكبر أن بعض اللغويين قد لا يراعون المقام في استعمال الفاظ استظهروها يفرضونها على الناس فرضاً لا يراعون اعتبارات العصر . وأذكر ان احد علماء اللغة في لبنان (رحمه الله) أصدر في القرن الماضي جريدة زراعية اسبوعية حشاها بكل ما في معاجم اللغة من عويص الألفاظ وكنت يومئذ آخذ الأدب عن المشايخ فدفعت العدد الأول منها لأستاذي وكان اماماً في اللغة فقال لي هذه الجريدة لا تفهم بغير شرح فأشرحها لنا فصدعت بالأمر . واتفق ان كانت هوامش الجريدة متسعة فاستعنت بها على شرح الكلمات اللغوية حتى اصبحت صفحات تلك الصحيفة بمتنها وشرحها مثلاً من كتب الأزهر بين الصفراء اختلط رأسها بذنبيها وامتزجت حواشيتها الأربع بنصها وفصها . حقيقة ان محرر الجريدة الزراعية اثبت براعة فائقة في اللغة ولكن كم كان ياترى عدد من فهموا من أهل اقليمه ما خطته يمينه وأملته قريحته .

وأذكر ان احد المشتغلين باللغة نقل عن الافرنجية كتاباً من كتب الأطفال أتى فيه بألفاظ الزمخشري وابن منظور والفيروزبادي . ولفت نظره الى عقم طريقته في وضع الفاظ أمام أطفال لا يفهمها اكثر أساتذتهم فغضب . والغالب أن معظم اللغويين يحاولون لأول امرهم ان يسيروا على طريقة العلامة الشنقيطي

أجزل الله ثوابه في رصف شعره بما وعى من المفردات ، ثقيلة كانت أم خفيفة ،
ساعت في ذوق سامعها وقارئها أم لم تسخ .
وأغرب من كل أولئك أن يرمى علماء اللغة بضعف العقل حتى لقد قال رنان :
كان البحث في أصول اللغة ولا يزال عندنا سبباً من أسباب ضعف العقل
حقيقة ، وأرى أن من الحق بمكان عظيم ما قاله أحد مشاهير علماء الأمراض
العقلية لعهدنا ، ان الأسباب الثلاثة التي دعت الى جنون كثير من الناس وكانوا
من قبل من أرباب المدارك ، البحث في أصول اللغة والعشق والتعمق في اللاهوت
(التيولوجيا) أجازنا الله وإياكم من كل ضعف ولا سيما ضعف العقل .

* * *

والآن ننتقل بكم الى الحديث اللغوي . في علمكم أيدكم الله أن الفساد
عرض لألسنة العرب بعد الفتح بقليل لمجاورة العجم ومدخلتهم . وكان هذا
الفساد يزيد وينقص بقدر بُعد العرب وقربهم من الجزيرة ، وقد سلمت اللغة
الفصحى في بعض الأرجاء الى ما بعد القرن السادس من الهجرة كما كان من
شأن بعض قبائل اليمن لأنها كانت تعيش في أوديتها وجبالها بعيدة عن الأعاجم .
واحتفظ أهل الشام بكثير من الفصح لانعزال بعض سكانها في أقاليم يكاد
يكون الاتصال بينها معدوماً . وما كان الناس في القديم يرحلون كما ترحل
ويسبحون كما نسمح اليوم بهذه الكثرة ، ولا يتمازجون بجيرانهم وغير جيرانهم
هذا التمازج ، ورأينا الشام تكثر فيها الألفاظ السريانية كما تكثر الألفاظ
النبطية والفارسية في العراق والقبطية في مصر . وبقيت في الشام ومصر والعراق
والحجاز الفاظ ليست بقليلة أصلها رومي وتركى . وكانت الفاظ الزراعة والفلاحة
في الشام سريانية والفاظ المدينة فارسية صقلتها الألسن فعاد أكثرها كأنه عربي
الأصل ودخلت في معاجمنا وأصبحنا لانعرف غيرها .

فمن الألفاظ النبطية او السريانية أي الأرامية الباقية في لهجة غوطة دمشق^(١)

(١) راجع ما نشرته في المجلد الثامن عشر والتاسع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي
نحت عنوان « الفصح والمولد في كلام أهل الغوطة » .

« شتل الفراس » أي غرسها ومنها « الماشتلة » أي المغرسة أو المستنبت و « دلل الفراس » غرسها بعيداً بعضها عن بعض و « الدليل » من الزروع ما كان بعضه بعيداً عن بعض ومنه « الشرش » الجذر ويقولون شرش أزال الشرش من الأرض « قلم الشجرة وقلمها » قطعها و « شفاها » قطع شفاها أي اطرافها « جم الكرم » قطع بعض أغصانه « شور » الشجرة ركم التراب حولها وفي الفصيح شور لوح بشيء وهي مستعملة عندهم أيضاً « عرم التراب » كومه وكنتسه « الطربون » رأس الفصن أو القضيبي المورق « كوش الزرع » أو الحنطة جمعها « شكاراة القمح » مقدار ما يزرع في قطعة أرض « تخ الخشب » أو الحطب أو تحتخ ببس وجف وتهراً « الساروط » الأخدود الذي تحدته المياه في الأرض لشدة جريانها ولم منه فعل فيقولون « سورطت » الأرض أي حدثت فيها أخاديد « جهجه الضوء » لاح « الشوب » الحر و « طرش الثوب » وسخه .

وأخذوا من الفارسية الجادة والدهليز والدولاب والزيبيل أو الزنبيل والسختيان والابريق والدورق والكاس والكشكول والققمم والجام والفنجان والزنبك والماوون والبركار والصنج والدف والناي والكنجة والبرواز والخرج والكر « منطقة من الشعر » والهميان والتخت في الأصل وعاء تصان فيه الثياب وفي الاصطلاح مقعد كبير من الخشب والبشختاية من بشختة خزانة تجعل أمام القاعد لحفظ الأوراق والخاتون والخاقان والدرويش والاستاذ والبلور والياسمين والنسرين والنرجس والآذريون والشوندر والجلنار والخضر اوات والريباس واللوياء والكمك والطاجن والتازج يقولون تازة بحسب أصلها « الجلاب » ماء الورد ومنه كل آب لصنف من الشمس حرفوه فقالوا الكلابي والسميد أو السميد والخشكار الطحين الخشن والجوسق والميزاب والخنجر والصابون والاشنان والخلخال والخمار والزركش والسرداب والسراي - السرايا والداية القابلة والديديبان الحرس والغوغاء الجلبة وكثرة الأصوات والدرابزون والديبوس والسيخ والدردار والكراز والكرابوا والسماي والسنباب والهزار والسنديبان والسندان والغار والهلبيوت والفهرست

للفرس وتخت زجر للدجاج وسق سق زجر للثور وعاي لزجر الخروف والغنم
والنخ قولك للبعير أخ أخ ليبرك نخنخه فتنخنخ والقرمشة صوت الخبز المقصر
وفي الأصل صوت الجرذ وقرقرت الدجاجة صوتت ودت الذباب صوت وطن
ونقت الضفدع والددنة أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نعمته ولا تفهمه
يقولون سمعته يدندن أي ينغم بحيث لا يفهم . معناه . فلان ينود يرفع صوته
بالشكوى من ناد ينود تحرك ومنه نودان اليهود في مدراسهم أي تحريك رؤوسهم
وأكتافهم في بيت عبادتهم . وعندهم الزياط واللغظ والخشخشة والجمجمة (صوت
الفرس دون الصهيل) والنششة صوت المقلي والزقزقة والوقوقة والجمعجة والقرقرة
(الضحك العالي حرفوها فقالوا كركرة) والبقبقة والغرغرة واللولولة والرجرجة
والخرخرة والشوشة والترثرة والفأفة والتأتأة .

ومن فصيحهم (البحرات) جمع بحرة وهي ما انخفض من الأرض وعندهم أرض
تسمى البحرات (الحسي) سهل من الأرض يستنقع فيه الماء وعندهم مستنقع
يسمى الحسي (بالتصغير) ومنهم من يلفظه بالصاد (الحير) البستان أو مجتمع
الماء والمكان المطمئن وكلها تصدق على أرض في الغوطة تجمع هذه الصفات
[الزور] الأرض البعيدة من الأرض الزراعية والأجمة ذات الحلفاء والقصب
والماء وهم يطلقونها على حرم نهر بردى ويضمون زايها كما يطلقها الحمويون
على حرم نهر العاصي .

ومن فصيحهم (الضيعة) (القرية) (الغيضة) (الروضة) (المرج) (الجنينة)
(الحاكورة) (الحرجة) بالتحريك مجتمع الشجر المتفج حرج وحراج يقولون
حرش وأحراش . ومنه حرث الأرض وعمرها وخربشها وخرمشها وقلبها وكربها
وحفرها وتخبأها وعزقها ونشأها ومهدا .

ويقولون أنا محاذة أي أرضي أو داري في حدود أرضه وذاره . وفلان
الزبقي ولزقي وبلزقي أي يجني) ومنه (القلاع) المدر يقتلع من الأرض يرمى
بها (الكدرة) القلاعة الضخمة (الكذبان) (البلاط) (الرخام) ومنه (العدان)

بالكسر والتشديد وهم يفشحون عينه ومعناه الزمان يطلقونه على اعطاء كل صاحب حق قسطه من الماء وعدنه تعديناً .

(أطعم الغصن) وصل به غصناً من غير شجره كقطعته (داف الزرع) ذبل وذوى (أسبل الزرع) (أفرك الحب) (أقمح السنبل) (الباحور) شدة الحر في في الصيف (الشمالة) الحزمة من الخنطة وهي طرية . (اطعمت الشجرة) ادرك ثمرها (اصمغت) صار لها صمغ . (نطف الحور) طلع من مكان آخر (النصبة) بفتح النون ما ينصب في الحقل من الغراس (السطمة) ما يفرس من عيديات الحور والصفصاف والخلاف . وفي المراجع السطم (بضم السين والطاء) الأصول . (المروشة) غرسة شجر الزيتون ولعلها من الامتراش اي الانتزاع والاختلاس لأنها تنزع من الشجرة الكبرى .

ومن أمثالهم الفصيحة (نأنا في الأكل) أكل أكلأ ضعيفاً (دهبل) كبر اللقمة ليسابق في الأكل يحرفون هذا الفعل فيقولون دعبل (البرطمة) غضب مع عبوس فلان مبرطم مقيظ (لطيء بالأرض) لزق (خب في الأرض) خاض (لزه على العمل) حثه عليه (دحس الثوب) في الوعاء أدخله يلفظونه بالشين كما يقولون الفرشخة وهو ان يقعد الانسان ويفتح ما بين رجليه يلفظونها بالشين وفصيحتها بالسين . ويقولون (قاعنا) يا فلان من هنا من قلعه حوله من موضعه اي هيا بنا نزل مكاناً آخر (شاشت النفس) اضطربت كما يقال شاش البلد اضطرب (قب الجرح) اذا يبس وذهب ماؤه (قبيح الجرح) صار فيه القيح وهو الصديد . (بط القرحة) شقها (خنخن في كلامه) اذا تكلم من خياشيمه فهو أخن ويقولون له خن (زناً البول) احتقن (أح الرجل) سعل (قرقف) رعد من البرد (قف الشعر) قام من الفرع (قفقف من البرد) اذا انضم وارتعد (أصن) سكت فهو مصن (ودر) الرجل أوقعه في مهلكة يقولون ود رهذه القطة أي ألها في محل لا تعود منه (حبق) متاعه جمعه وحبق المال أيضاً جمعه (هبش) لعياله اكنسب (دغر عليه) هجم (طمس على مال فلان) استخله من

أطمس على أموالهم أهلكتها وفلان مطحوس القلب ميتة وعندهم يطلق على الجاهل الذي لا يتعلم (الفضضة) سعة الثوب والعيش يقولون خذ هذه الدراهم تتفضض بها أي تنسع بها وتقضي حوائجك (رحرحة) الثوب اتساعه وثوب مرحرح (خششت فيه) دخلت فقولهم خش يا فلان عريية الأصل (غلغل في الحقول) دخل وفي الفصح تغلغل أيضاً (فلان يهت على فلان) يعيره أو يمزق عرضه (فلان متعنفس) متصلف مزهو (الصقلب) شرك ينصبه ناصبه ليصرع من يريد صرعه من صقلبه صرعه . ويقولون أعطني قماشاً من (بابة) كذا أي من سعر كذا وهذا بابه أي يصلح له أو شرطه (قرط عليه الدراهم) إذا أعطاه منها قليلاً قليلاً أو حرمه (التجليط) الكذب من جلط (نوس) المصباح قلل من إضاءته (امرأة هطلى) كسلانة أخذوها من ناقة هطلى تمشي رويداً يقولون وقف الماء في (زراديمه) والزردمة الغلصمة أو موضع الابتلاع (ثوب بايخ) متغير وحديث بايخ لا يحصل له (الرتوت) الرؤساء واحدها رت (ما في البيت تومري) أي أحد يقولون دومري (السرب) الجماعة من النساء والحيوان (الفوج ، الجوقة ، الجف ، الغوغاء ، الزمرة ، اللمة ، الأوباش ، الشرذمة) كل هذه أسماء معناها واحد وهو الجمع من الناس وهي دارجة في اللغة الدارجة (العزوة) (العصبة العصابة) واعتصبوا صاروا عصابة . هو (شرواك) مثلك هو يمشي مع (سبره) أي أقرانه والسبر الشبه والهيئة (العكرة) الفتنة والهوشة . أعطني (شويه) أي قليلاً وفي الفصح ما بقي من الشاة الا شوايه بقية يسيرة ، والشوايه بالضم الشيء الصغير من الكبير . يقولون سقاني (نقفة) من اللبن أي شيئاً وهي ندفة في الفصح . يقولون اللبن والخب طيس أي كثير من طاس يطيس كثير (الصوبة) ما تجمع من الحنطة والتمر يقولون لها الصبة (الشلية) بقية الماشية وعندهم الشلعة قطعة من الماشية (العزيب) الذي لا يروح الى أهله من الماشية . يقولون هذه الأرض عدية أي خالية من الوحم والوبالة وأصلها عذبة من عذا البلد طاب هواءه (الطابونة) من طبن النار دفنوها لثلاً تطفأ وذلك الموضع

طابون والطابون فرن في الأرض وكانوا يستعملون الطوابنية للخيازة وقد أهملت اليوم كما أهملت (الشرايحية) باعة شرايح اللحم واستعاضوا عنها بالشوائين أو الشواية وأهملوا (المقاصف) واستعملوا بدلها القهاوي والمقاهي وأهملوا (النخيرة) واستعاضوا عنها بالملسخ وأهملوا (البأس) واستعملوا بدلاً عنها القلي ثم استعملوا البوتاس وكانت لفظه (النقائين) شائعة يطلقونها على باعة النقائق أو المقائق وهي المصير المحشو باللحم وكذلك (الحلاويون) باعة الحلواء يقولون اليوم الحلوانيون واحدها حلواني ومن أمثالهم ما كل من صف الصواني قال أنا حلواني .

ورأبنا بعض الفاظ المآكل وباعتها قد أهملت مثل الهرائسي بائع الهريسة والرائس بائع الرؤوس ويقال له الرواس وهو لحن الفقاعي بائع شراب من الحبوب والأثمار وغيرها سمي به لما يرتفع في رأسه من الزبد وكان يطلق في الشام على باعة نقيع الزبيب . الاقسماويون من الاقسما وهو شراب قد يجعل من الدبس ويثلج كالسويق قال الشهابي المنصوري :

أبأسيداً قد أشهد الله أنه أناب فلم يحسُّ الشراب المحرماً

هلم فإني لا إخالك مقسماً وان كنت لم تشرب مداماً فأقسماً

وأهملوا لفظه الشرايين باعة الأشربة ولفظ المثلث عصير العنب يطبخ قبل أن يقلى ويشد حتى يذهب ثلثاه وكانت مستعملة في مصر في القرن الثالث واعتاضوا عن الطاهي بالطباخ أو العشي . وأهملت الفاظ كانت تطلق على أمور بطلت في الاستعمال مثل سوق العطارين وكان أصحابها يبيعون فيها العطور فأطلقت على باعة البذور والسكر والأرز والأفاويه ومثل الأبارين والمسلايين صناع الابر والمسلات والمراديين صناع المرادن آلات الغزل القديمة تعمل من خشب السامم أو السنط الأحمر والفاخرانيين صناع الزبادي والسلطانيات من الحصى المطحون والفضاريين باعة الكيزان والقزازين صناع القز وباعته والبزازين صناع البز أو القماش والبزوريين باعة البزور والسكر بين باعة السكر والامشاطيين باعة الأمشاط والسدارين والبوارديين يطلقونها على من يصنعون الأمشاط

ويطحنون السدر وهو من المطهرات كالصابون والدلوك والأشنان والبوارد طعام البقول المطبوخة وكان فيها سوق الدباغين والصباعين والدقاقين والقاحين والناطفانيين (الناطف نوع من الحلواء) وسوق الخريزاتية الذين يخرزون الأواني وتناسوا لفظ الاقباعيين صناع الأقباع جمع قبع وهي الطاقية أو العرقية وكان في دمشق لكل من هذه الصناعات سوق خاص ومنها سوق الحرير وسوق القطن وسوق القشر (قشر القنب) وسوق القوافين من كاف الأديم بكوفه كوفاً كف جانبه وهو اعداد الجلد لعمل النعال ، قلبت كافها قافاً . ومنه سوق المناخلين باعة المناخل وصناعتها وسوق الزرابيليين صناع الزرابيل جمع زربول وسوق السروجيين صناع السروج وسوق النحاسين وسوق الحدادين وسوق القصاصين باعة القصاص ومنها سوق الزنوطيين وفي معجم دوزي أن زنوط لغة مصرية معناها الطاقية وان كانت من زنط جمع زنط فمعناها السيور والسياط وسوق القلباجية والقالباق من أكسية الرأس التركية والدماجية صناع الديا وهي أثواب تعمل من الغزل ولا يزال سوق الخيل وسوق الجمال وسوق الغنم وسوق البقر وسوق الحمير بالطبع ويقال لمخزن الخطب الشونة وهي مصرية وينضمون شينها وكانت لم أسواق بحسب أيام الأسبوع فسوق الجمعة وسوق الأحد وسوق الثلاثاء تباع فيها أصناف المأكول والملبوس ، فن هذه الألفاظ ما بطل استعماله بإبطال ما كان يطلق عليه وباختراع ما اغنى عنه وعن اسمه . ولكل عصر الفاظه كما ان لكل عصر ادبه . فبعض الالفاظ التي راجت في القرن الثالث والرابع نسيت في القرن السابع والثامن وما راج في هذين القرنين نسي في العاشر وما بعده . فالفاظ عهد المماليك في مصر غير الفاظ الترك بعدهم فقد كانوا مثلاً يستعملون كلمة التقليد والتصرف فأبدلوهما بالتولية ثم بالتعيين والنصب والاستخدام وكانوا يستعملون لفظ القاحين والدقاقين ويقولون اليوم تجار الحبوب والطحانة . والفاظ مصر زمن المماليك وحدها تحتاج الى بحث خاص برأسه . ومن نظر نظراً خفيفاً في الألفاظ في كل قطر عربي لا يلبث أن يرى ان ما كان شائعاً في

العراق لم يشع في الشام ومصر وما كان في مصر لا يعرفه الغرب الأقصى ولا الأندلس من قبل .

وفي كتب الحسبة ، وبعضها الى الآن لم يطبع ، كثير من الألفاظ دوت المعاجم بعضها ولا نستعملها اليوم نسقط على نموذج منها في كتاب نشوار المحاضرة للمحسن التنوخي وفي كتاب سيرة احمد بن طولون للبلوي . منها (البزيون) ضرب من نسيج البزاو من رقيق الديباج (المطبق) كمحسن السجن تحت الأرض (الفامي) بائع الفوم اي الخنطة والحمص وسائر انواع الحبوب التي تخبز . (الزيرباج) أكلة بلحم وحمص وخل وسكر ولوز (البزماورد) طعام من اللحم والبيض (العصيدة) دقيق بلت بالسمن ويطبخ . ومنها (المطالب) الكنوز (البذرة) الخفارة (الفيح) رسول السلطان . الخ . وهذه الألفاظ تتطلب درساً خاصاً كما تتطلب ما كل العرب في الجاهلية وما كلهم في الاسلام دراسات أخرى . وأطعمة العرب ما تعدت الألبان والتمور واللحوم : تقل فيها الخضراوات والبقول وكلها بين مطبوخ وملتب وملبون ومتمور ومسمون ومعسول .

سادتي :

أوردت مثلاً ضئيلاً من أشغال هذا المجمع الفني وذلك بقدر ما يتسع له الوقت وأرجو ألا أكون ادخلت الملل على نفوسكم أعاننا المولى على القيام بواجبنا في خدمة لغتنا المحبوبة وحياتكم وأحيائكم .

محمد كرد علي



أبو الهذيل العلاف

- ٢ -

٦ - فلسفة أبي الهذيل

إن أبا الهذيل فيلسوف معتزلي ، وافق أهل الاعتزال في فلسفتهم العامة ، وانفرد عنهم في مسائل خاصة .

أما فلسفة الاعتزال العامة التي وضع مبادئها وأصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وعثمان الطويل وغيرهم من أهل الاعتزال ، فتنحصر في أصول خمسة هي : القول بالتوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، ووجوب المعرفة بالعقل قبل ورود السمع ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالقول بالتوحيد إنما وضع للرد على الرافضة والمجسمة . وفيه إن الله واحد لا شريك له من أي جهة ، ولا كثرة في ذاته . وهو قديم عالم لذاته ، قادر لذاته حي لذاته ، لا يعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به . وهو خالق الجسم وليس يجسم ، محدث الأشياء وليس كالأشياء ، منزه عن المخلوق ، لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة .

والقول بالعدل وضع للرد على المجبرة من الجهمية والرافضة . وفيه إن الله تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه شر وظلم ، ولا يجوز أن يريد من عباده خلاف ما يأمرهم به . وهو لا يجب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يريد ظلماً للعالمين . وأفعال العباد من خير وشر وإيمان وكفر وطاعة ومعصية منسوبة إليهم ، يفعلونها بقدره خلقها الله فيهم . ويستحيل أن يقول الله لعبده افعل ، وهو لا يستطيع أن يفعل ، بل العبد قادر لأفعاله خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة .

والقول بالوعد والوعيد إنما ذهبوا إليه لاعتقادهم إن الله تعالى صادق في وعده ووعيده ، لا مبدل لكلماته ، فلا يغفر عن كبيرة إلا بعد التوبة فإذا خرج

- ٢٠٥ -

المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب ، واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار ، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار . فصاحب الكبيرة ليس بمؤمن مطلق ، ولا بكافر مطلق ، لكنه في منزلة بين المنزلتين ، لأنه فاسق . والفسق حال متوسطة بين الكفر والايان^(١) .

وأما وجوب المعرفة بالعقل فيرجع الى ان الانسان يستطيع بعقله قبل ورود السمع ان يعرف الحسن ويعتقه ، ويدرك القبيح ويحتنبه . وما ورود التكليف إلا الطاف للباري تعالى أرسلها الى العباد بتوسط الأنبياء امتحاناً واختباراً ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيى عن بينة .

واما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتضمن تكليف المؤمنين الجهاد ، واقامة حكم الله على كل من خالف أمره او نهييه سواء أكان كافراً أم فاسقاً . لقد ذهب ابو الهذيل العلاف كغيره من المعتزلة الى هذه الأصول الخمسة ، وانفرد عن أصحابه بآراء خاصة في حقيقة الأجسام ، والجزء الذي لا يتجزأ ، والحركة ، والسكون ، والصفات الإلهية ، والقدر ، والنفس الانسانية ، وحركات أهل الجنة والنار ، ونعيمهم ، وعذابهم ، والطاعة ، والاستطاعة ، والخلق ، والآجال ، وشروط الحججة عن طريق الأخبار وغيرها .

ان نظرة بسيطة الى هذه المسائل تدلنا على ان الاحاطة بها تحتاج الى عدة مقالات . فلنقتصر اذن في مقالنا هذا على بحث المسائل الرئيسية فقط . من المسائل الرئيسية التي بحثها ابو الهذيل مسألة الصفات الإلهية . فقد كان بعض المتكلمين ممن تقدم ابا الهذيل يقولون ان الله عالم وعلمه قديم . وكان

(١) راجع كتاب الانتصار للخياط ص - ١٢٦ . قال الخياط : « وليس يستحق أحد منهم اسم الاهتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد ، والمدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

أما نحن فقد جمعنا القول بالوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين في أصل واحد . واعتبرنا القول بوجود المعرفة بالعقل قبل ورود السمع أصلاً خامساً لما للعقل في نظر المعتزلة من أثر مهم في التمييز بين الخير والشر والمعاقب والثواب . راجع أيضاً كتاب الملل والنحل للشهرستاني .

بعضهم الآخر يقول ان الله عالم لذاته لا بعلم . فكان قول الفريق الأول يؤدي الى القول بتعدد القديم ، وكان قول الفريق الثاني يؤدي الى نفي العلم ونفي غيره من الصفات عن الذات الالهية . فذهب ابو الهذيل في هذه المسألة الى رأي متوسط بين الرأيين السالفين فقال : ان الله تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته ، قادر بقدرة وقدرته ذاته ، حي بحياة وحياته ذاته . اي ان علم الله تعالى هو هو ، وكذلك سمعه وبصره وحكمته . فهو يرى اذن ان الصفة هي عين الذات . والفرق بين قولنا ان الله عالم لذاته لا بعلم ، وبين قولنا عالم بعلم هو ذاته ، اننا في القول الأول نفي عن الله صفة العلم ، وفي الثاني ثبت ذاتاً هي بعينها صفة ، أو ثبت صفة هي بعينها ذات . وكان أبو الهذيل اذا قيل له حدثنا عن علم الله الذي تقول انه ذاته . أتزعم أنه قدرته أيضاً ، أبي ذلك . فاذا قيل له ، فهو غير قدرته ! أنكر ذلك أيضاً . ويظهر ان ابا الهذيل لم يذهب الى هذا القول الا لرغبته في الابتعاد عما وقعت فيه الرافضة من التجسيم ، وما أدى اليه قول بعض المتكلمين من تعدد القديم . فقد كانت المحسنة تعتقد ان ربه ذو هيئة وصورة ، يتحرك ويسكن ، ويزول وينتقل ، وانه كان غير عالم ، ثم علم ، وانه يريد الشيء ثم يبدو له سبب آخر فيريد غيره . وذكر أبو الهذيل في بعض كتبه ان هشام ابن الحكم قال له : ان ربه جسم ذاهب جاء . فيتحرك تارة ويسكن أخرى ، ويقعد مرة ويقوم أخرى . وانه طويل عريض . لأن ما لم يكن كذلك في زعمه دخل في حد التلاشي . قال فقلت له فأيما أعظم إلهك أم هذا الجبل وأومات الى أبي قبيس فقال هذا الجبل أعظم منه . وذكر ابن الروندي أيضاً ان هشام ابن الحكم كان يقول ان بين الهه وبين الاجسام المشاهدة تشابهاً من جهة من الجهات لو لا ذلك ما دلت عليه . فهذه الملاحظات وغيرها ساقى ابا الهذيل الى القول بالتجريد ، فنفي عن الله تعالى شبه خلقه من كل وجه ، وأثبتته واحداً ليس بجسم ولا بذى هيئة ولا صورة ولا حد ، وانه ليس كمثل شيء . وأبو الهذيل يسمي العلم والقدرة والحياة وجوهاً ثلاثة للذات الالهية . وهذه الوجوه الثلاثة التي اقتبسها ابو الهذيل من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة شبيهة بأقانيم المسيحية .

قال أبو الهذيل: ولقولي هذا نظائر عند أهل التوحيد . انهم بأجمعهم يقولون ان وجه الله هو الله . وقد فسد ان يكون لله وجه هو بعضه أو وجه قديم هو معه . فلم يبق الا ان يكون وجهه هو ذاته كما يقال هذا وجه الأمر ، وهذا وجه الرأي . وهذا الأمر نفسه ، وهذا الرأي نفسه . على ان ابا الهذيل قد نفي العلم من حيث اوهم أنه أثبتته ، لأنه لم يثبت في النهاية إلا الذات الالائية ، وكان اذا قيل له : فلم اختلفت الصفات فقول عالم ، وقيل قادر ، وقيل حي ، قال لاختلاف المعلوم والمقدور . ويرى ابو الهذيل ان السمع والبصر صفات ازلية ، فالله تعالى لم يزل سميعاً بصيراً بمعنى انه سيسمع وسيبصر : وكذلك لم يزل غفوراً رحيماً محسناً ، خالقاً رازقاً ، مثيباً معاقباً ، موالياً معادياً ، آمراً ناهياً ، بمعنى ان ذلك سيكون منه . وكان سهلاً عليه ان يؤول هذه الصفات تأويلاً ينفي عنها الصفة الحسية ، لأنه كان يعتبر السمع والبصر من اعمال الروح ، لا من اعمال الحواس . وقد ساقته نظرية الصفات هذه الى القول بارادات لا محل لها ، يكون الله تعالى مريداً بها . فارادة الله لكون الشيء هي غير الشيء المكوّن . وارادته للايمان هي غير الايمان والأمر به . ففرق على هذه الصورة بين الارادة والشيء المراد ، كما فرق بين الارادة الخالقة والارادة الشارعة . فارادة الخلق هي الخلق بذاته ، وهي تختلف عن المخلوق لأنها ليست في مكان . ثم انه ذهب في تقسيم كلام الباري تعالى الى ما ذهب اليه في تقسيم الارادة . فقال هو قسمان احدهما يحتاج الى مكان ، والآخر لا يحتاج الى مكان . فكلمة الخلق . وهي قول الله للشيء « كُنْ » هي عين الخلق . وهي ليست في مكان ، وليس بجائز أن يخلق الله شيئاً ولا يقول له كُنْ . فكان كلمة التكوين ، كما قال بعض الفلاسفة ، في المكان الاوسط بين الخالق الأزلي وبين العالم المخلوق . او كأنها جوهر شبيه بالمثل الأفلاطونية . أو عقول الأفلاك التي أشار اليها الفارابي وابن سينا في صدور الأشياء عن المدبر الأول . أما سائر كلام الله من أمر ونهي وخبر واستخبار ، فهو في مكان ، لأن أمر التكليف غير أمر التكوين . فكلمة الخلق

ليست بمخلوقة ، أما الكلام المشتمل على الأوامر والنواهي والوحي فهو مخلوق ، لأنه عرض من الأعراض . وهذا يدل على ان أمر التكليف مقصور على العالم الثاني . لا يخضع الانسان لأحكامه إلا في هذه الحياة . وهو يقتضي القول باختيار الانسان ، وحرية ، وبقدرته في هذا العالم على فعل ما يختاره من الخير والشر . اما في العالم الثاني ، فينقذ الانسان حرية واختياره ، ويرجع كل شيء فيه الى إرادة الله . لذلك قال الشهرستاني : ان ابا الهذيل قدري الدنيا جبيري الآخرة . وفي الجنة والنار تكون حركات الانسان ضرورية لا قدرة له عليها . فهي مقيدة وليس لأحد قدرة على اكتساب فعل ، ولا على اكتساب قول . والله خالق فيها اقوال العباد وحركاتهم . فالدنيا دار عمل وأمر ونهي ومحنة واختبار . والآخرة دار جزاء واضطرار . ولو كان أهل الجنة يجوز منهم اختيار الأفعال ووقوعها ، لكانوا مأمورين منهيين ، ولو وقعت منهم الطاعة والمعصية . ولكانت الجنة دار محنة وأمر ونهي ، لا دار ثواب ، وكان سبيلها سبيل الدنيا ، ولوقع ثواب أهلها في دار سواها ، ولتسلسل الأمر الى ما لا نهاية له .

ويرى ابو الهذيل ان حركات أهل الجنة والنار لا تبقى ، بل تنتهي بانتهاء العالم ، وتنقلب الى سكون دائم . لأن ماله ابتداء لا بد من أن يكون له انتهاء . وفي هذا السكون الدائم تجتمع اللذات كلها لأهل الجنة ، ويجمع العذاب كله لأهل النار . وهذا قريب من مذهب جهيم بن صفوان اذ حكم بفناء الجنة والنار . قال الأشعري في مقالات الاسلاميين : « أجمع أهل الاسلام جميعاً الا الجهم ان نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له ، وكذلك عذاب الكفار في النار . وقال جهيم بن صفوان ان الجنة والنار تفنيان وتبيدان ، ويفنى من فيها ، حتى لا يبقى الا الله وحده كما كان وحده لا شيء معه » (١) .

وقال البغدادي في كتاب « الفرق بين الفرق » : ومذهب ابي الهذيل في ذلك شر من مذهب جهيم ، لأن جهماً ، وان قال بفناء الجنة والنار ، فقد قال : ان الله قادر بعد فنائها أن يخلق غيرهما . وأبو الهذيل زعم ان ربه لا يقدر بعد انتهاء الحركات على تحريك ساكن ، او احياء ميت ، أو احداث شيء .

(١) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص ٢٥٥

وظاهر ان رأي ابي الهذيل ، في سكون حركات أهل الجنة والنار ، لا يستند الى أي أساس ديني ، بل يرجع الى رأيه في تنامي الحركات . فالحركة عند تنقسم في الجسم على جميع أجزائه ، وما يجوز على الأجسام يجوز أيضاً على الجوهر الواحد ، والجزء الذي لا يتجزأ . ولكن ما هو الجسم . قال ابو الهذيل :

« الجسم هو ماله يمين وشمال وظهر وبطن وأعلى وأسفل . وأقل ما يكون الجسم ستة أجزاء احدهما يمين والآخر شمال ، وأحدهما ظهر والآخر بطن ، وأحدهما أعلى والآخر أسفل ، وان الجزء الواحد الذي لا يتجزأ يماس ستة أمثاله . وانه يتحرك ويسكن ، ويجمع غيره ، ويجوز عليه الكون والماسة ، ولا يحتمل اللون والطعم والرائحة ، ولا شيئاً من الاعراض غير ما ذكرنا ، حتى تجتمع هذه الستة الأجزاء ، فاذا اجتمعت فهي الجسم ، وحينئذ يحتمل ما وصفنا »^(١)

فالجسم إذن منقسم وهو يحمل الاعراض كاللون والطعم والرائحة والحركة . وليس كل جوهر جسماً ، بل الجوهر الواحد الذي لا ينقسم محال ان يكون جسماً ، لأن الجسم هو الطويل العريض العميق . وليس الجوهر الواحد كذلك^(٢) « واختلف الناس في الجسم هل يجوز ان يفرق أو يبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ أم لا يجوز ذلك . . . فقال ابو الهذيل : ان الجسم يجوز ان يفرقه الله سبحانه ، ويبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ ، وان الجزء الذي لا يتجزأ لا طول له ولا عرض له ولا عمق له ، ولا اجتماع فيه ولا اقتراق ، وأنه قد يجوز ان يجمع غيره وان يفارق غيره ، وان الخردلة يجوز ان تتجزأ نصفين ثم اربعة ثم ثمانية الى ان يصير كل جزء فيها لا يتجزأ »^(٣) فالله يستطيع اذن ان يبطل ما في الجسم من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ . ويستطيع ان يفرد الجزء الذي لا يتجزأ فتراه العيون ويخلق فينا رؤية له وإدراكاً له .

والاعراض هي الحركات والسكون والقيام والقعود والاجتماع والافتراق والطول

(١) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص ٣٠٢ (٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٥

والعرض والألوان والطعوم والأراييح والأصوات والكلام والسكوت والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة . فبعضها يجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ معاً ، وبعضها لا يجوز إلا على الجسم ، فالحركة مثلاً تجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ ، أما اللون والطعم والرائحة فلا تجوز إلا على الجسم . قال أبو الهذيل :
والاعراض قسمان « منها ما يبقى ومنها ما لا يبقى . والحركات كلها لا تبقى .
والسكون منه ما يبقى ومنه ما لا يبقى . وسكون أهل الجنة سكون باق ، وكذلك
أكوانهم ، وحركاتهم منقطعة منقضية لها آخر » (١) .

وقال أيضاً : ان الألوان والطعوم والأراييح والحياة والقدرة تبقى كلها ،
وكذلك اللذات والآلام . فالأهل النار باقية فيهم ، ولذات أهل الجنة باقية فيهم .
فالحركات اذن في نظر أبي الهذيل تجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ
وهي مع ذلك لا تبقى ، اما الألوان والطعوم والأراييح فلا تجوز الا على الجسم
وهي مع ذلك تبقى بعد انتهاء العالم . فهناك اذن أعراض موجودة لا في جسم ،
ويجوز أيضاً ان تعاد . أما الحركات والسكون وما يتولد عنها كتأليف والتفريق
والأصوات وسائر ما يعرف الناس كيفيته فلا يجوز ان يعاد .

فالسبب اذن في قول أبي الهذيل بانتهاء حركات أهل الجنة والنار يرجع
إذن الى رأيه في حقيقة الأجسام والحركات وبقاء الاعراض وانتهائها . قال
اني لا أقول بحركات لا تنهاى آخرآ ، كما لا أقول بحركات لا تنهاى أولآ ،
ونسى أن ما لزمه في الحركة يلزمه أيضاً في السكون . اضع الى ذلك ان
قوله بانقسام الاعراض الى قسمين أحدهما يبقى والآخر لا يبقى لا يستند الى
أي أساس معقول .

فأبو الهذيل قد قال اذن ببقاء الاعراض التي لا تجوز الا على الجسم ،
وبعدم بقاء الحركات رغم جوازها على الجسم وعلى الجزء الذي لا يتجزأ معاً .

(١) الاشعري : مقالات الاسلاميين ، ص ٣٥٩ . قال أبو الهذيل : « يجوز أن يتحرك
الجسم لا عن شيء ولا الى شيء » . المصدر نفسه ٣٢٣ . وقال أيضاً : « الأجسام قد
تتحرك في الحقيقة ، وتسكن في الحقيقة ، والحركة والسكون هما غير الكون ، والجسم في حال
خلق الله سبحانه له لا ساكن ولا متحرك » المصدر نفسه ٣٢٥ .

ولو قال بفناء الدنيا والآخرة ، كما قال الجهم ، لما وقع في هذه الشبهة ، ولاستغنى
عن هذا السكون الدائم الذي قلب أهل الجنة والنار الى أصنام جامدة في
مدينة مسحورة .

ومع ذلك فإن لرأي أبي الهذيل في انتهاء حر كات أهل الجنة والنار خطورة
عظيمة ، لأنه كان كما قال الشهرستاني قدري الدنيا جبري الآخرة . فالإنسان
في نظره قادر على خلق أفعاله في هذه الدنيا لأنه حر . أما في الآخرة فإنه
يصير مقيداً بالخالة التي انتهى إليها . والمشهور عن الفلاسفة الأقدمين أن النفس
تشارك الجسد في أفعاله وانفعالاته مادامت مقيدة به ، وان حربتها مقيدة في
هذا العالم بما يصل إليها عن طريق الجسد من الاحساسات والأفكار والعواطف ،
أما اذا فارقت الجسم فإنها تعود الى العالم الأرفع ، وتمزق سلاسل المادة وثقود
الزمان والمكان وتصير حرة طليقة . أما أبو الهذيل فقد ذهب في ذلك مذهباً
مخالفًا لآراء المتقدمين ، وزعم ان النفس حرة في الدنيا مقيدة في الآخرة . وفي
هذا الرأي فكرة عميقة تدل على قوة ابداعه ، وشدة حدسه . الا انها تحتاج
رغم ذلك الى مقدمات برهانية لم نعثر عليها فيما وصل إلينا من أفكاره .
ويرى أبو الهذيل ان في الانسان علماً فطرياً يؤدي بالضرورة الى معرفة الله ،
فمن واجبه ان يعرف الحق ، وان يميز الخير من الشر بعقله الطبيعي ، من غير خاطر
ولا وحى . وان قصر في هذه المعرفة استوجب العقوبة . وعليه أيضاً ان يفهم حسن
الحسن وقبح القبيح ، وان يقدم على الحسن كالصدق والعدل ، وان يعرض عن
القبيح كالكذب والجور . والله يثيب كل محسن على قدر طاعته وصدقه وعدله .
ويعاقب كل مسيء على قدر معصيته وكذبه وجوره . فهناك اذن طاعات من
الخلق لا يراد الله بها ، وليس على وجه الأرض دهري زعم انه لا رب ولا
خالق ، ولا ثواب ولا عقاب ، الا وهو مطيع بضرب من الطاعات . فهو عاص
بدهريته ، ولكنه مطيع بما يقدم عليه من الخير ، كما ان المؤمن مطيع بايمانه ،
عاص بما قد يقدم عليه من الشر .

ومسؤولية الانسان تتوقف على معرفة اللحظة التي يوجد فيها الفعل . ولا تكون المسؤولية تامة الا اذا كان الفعل تام الحدوث . لذلك فرق ابو الهذيل بين افعال القلوب وأفعال الجوارح ، اي بين الأفعال النفسية والأفعال الطبيعية . فقال ان حال (يفعل) هي غير حال (فعل) . والمسؤولية لا توجد في أفعال القلوب الا اذا وجدت الاستطاعة مع الفعل . أما في أفعال الجوارح فقد تتقدم الاستطاعة على الفعل ، فاذا لم يتم الفعل الا بعد موت الفاعل او عجزه كان الفعل منسوباً اليه لا إلى غيره ، ويمكن ان يقال مجازاً ان الموتى يقتلون الأحياء . فالارادة لا توجد اذن تامة الا اذا كانت الجوارح قادرة على تنفيذها ، ولا يكون العمل اختيارياً الا اذا قام الانسان به من غير قسر . قال ابو الهذيل : « الاستطاعة يحتاج اليها قبل الفعل . فاذا وجد الفعل لم يكن بالانسان اليها حاجة بوجه من الوجوه . وقد يجوز وقوع العجز في الوقت الثاني فيكون مجامعاً للفعل ، ويكون عجزاً عن فعل ، لأن العجز لا يكون عجزاً عن موجود . فيكون الفعل واقعاً بقدرة معدومة » (١) .

وهذا يدل على أن أبا الهذيل قد جوز الفعل مع الموت بالاستطاعة المتقدمة . كما جوز أقل قليل الكلام مع الخرس ، ولم يجوز وجود العلم مع الموت ، ولا وجود الارادة مع الموت . وقد حكي عنه انه كان ينكر أن توجد الارادة بقدرة معدومة حتى يكون العجز مجامعاً لها . (٢) والانسان انما يفعل في غيره الأفعال بالأسباب التي يحدثها في نفسه . فلو رمى انسان انساناً بسهم ثم مات الرامي قبل وصول السهم الى المرعي ، ثم وصل السهم الى المرعي فألمه وقتله ، لحدث القتل والألم بعد موت الرامي بنفس السبب الذي أحدثه الرامي وهو حي .

وقد فرق ابو الهذيل بين الأمور التي يقدر الله عباده عليها ، وبين الأمور التي لا يقدرهم على فعلها . فالحركات والسكون والأصوات والآلام وسائر ما نعرف كيفيته هي من الأمور التي يقدر الله عباده عليها . أما الاعراض التي لا نعرف كيفيتها كالألوان والطعوم والأرايح والحياة والموت والعجز والقدرة ،

(١) الإشرعي ، مقالات الاملايين ص ٢٣٢ (٢) الأشعري ، مقالات الاملايين ص ٣١٣

فليس يجوز ان يوصف الباري بالقدرة على ان يقدر عباده عليها . والله لا يوصف بالقدرة على شيء تقدر عليه عباده ، لأنه محال ان يكون هناك مقدور واحد لقادرين . فأفعال الانسان لا تشبه أفعال الباري بوجه من الوجوه . والله يضطر عباده في الآخرة الى صدق بكونون به صادقين وكلام بكونون به متكئين ، ولكنه لا يضطرم الى كفر بكونون به كافرين وجور بكونون به جائرين . وهو قادر على الظلم ، الا انه لا يفعله لحكمته ورحمته . ومحال ان يفعل شيئاً من ذلك ، أن قدرته مقيدة بعدله ورحمته وحكمته .

٧ - النتيجة

هذه لمحة سريعة من آراء ابي الهذيل في التوحيد ، وحركات اهل الجنة والنار ، والأجسام ، والجزء الذي لا يتجزأ ، والجواهر والاعراض ؛ والعلم ، والمسؤولية ، والاستطاعة ، والعدل ، ناظر فيها كثيرين من أقرانه كبشر بن المعتمر والأصم وهشام بن الحكم والنظام كما ناظر المجوس والثوبية واصحاب النجوم والدهرية . ولا حاجة الى القول ان أبا الهذيل قد ابتعد بآرائه هذه عن اجماع المسلمين ، فتصدى للرد عليه كثيرون من أهل الحديث وعلماء الكلام ، الذين لم يروا رأيه ، ولا قالوا بمقالته فوضع (المردار) كتاباً في الرد عليه سماه «فضائح أبي الهذيل» ، والفت الجبائي كتاباً في الرد على ابي الهذيل في المخلوق ، وصنف جعفر بن حرب كتاباً سماه «توبيخ أبي الهذيل» كفره فيه . وذكر ان قوله يجر الى الدهرية . وقد كان لهذه الردود أثر عظيم في شهرة أبي الهذيل حتى قال المأمون : أطل ابو الهذيل على الكلام كاطلال الغمام على الأنام . وقال الفضل بن العميد ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة . أما الفقه فعلى ابي حنيفة ، وأما الكلام فعلى ابي الهذيل ، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى ابي عثمان الجاحظ . وكان ابو علي الجبائي يقول ليس بيني وبين ابي الهذيل خلاف الا في أربعين مسألة . وما كان في الدنيا بعد الصحابة اعظم عنده من أبي الهذيل .

ويظهر أن ابا الهذيل كان في مناظراته أشبه برؤساء الأحزاب والخطباء والمحامين منه بالفلاسفة الهادئين ، الذين يسرون على منبهج علمي واضح دقيق . وطريقة هذا شأنها تدخل على أسلوب العلم شيئاً من الضعف والتردد والعدول عن سواء السبيل . وكل فلسفة تقوم على أساس الجدل والمناظرة ، تكون مسائلها مقيدة بآراء المخالفين . ومن نازل عدواً قوباً اضطر الى التقييد بشروط قتاله ، وتقلب أحواله ، واتباع حركاته وسكناته ، وقيامه وعوده . وقد تؤثر فيه روح العدو وحيلته ، فتبدل خطته وغايته . ومعركة الأفكار لا تختلف من هذه الناحية عن معارك الرجال . بل كثيراً ما يكون تأثير العدو في تكوين الأفكار أقوى من تأثير الحليف . وفرق بين ان يبني الانسان بيته بنفسه وفقاً لمخطط معقول ، وبين ان ينشئه وفقاً لما تقتضيه الحاجة العملية المباشرة . وفرق بين ان يكون الفكر مستقلاً في وضع المسائل وتأليفها ، وبين ان تكون مسائله تابعة للعناصر المقتبسة من آراء المخالفين . ففي أعمال المدافعين أمور كثيرة لا بقاء لها . وينبغي ان تزول بزوال أسبابها ، وان تهجر ويستبدل بها غيرها ، وان يوثق بما هو احسن منها وأصوب . وربما كان ابو الهذيل غير بريء من ذلك ، حتى لقد أدرك هو نفسه ان آراءه قد جرت الى الخروج على الاجماع . وان كثيرين من الملحددين قد تعلقوا عليه بها . فتاب من الكلام فيها قبل موته . ولعله لم يتب من الخوض فيها الا بعد ان أدرك خلافة المتوكل ، وكف بصره ، وخرف في آخر عمره ، وقصر عن مناظرة المناظرين . ومهما يكن من أمر فان ابا الهذيل قد مهد السبيل بجده لظهور الفلسفة في الاسلام ، فخدم الاسلام ، عن طريق الجدل والمناظرة اكثر مما خدمه القواد عن طريق الفتح ، حتى لقد أسلم على يده ثلاثة آلاف رجل . وكانت فلسفته أقرب إلى روح الاسلام من آراء الفلاسفة المشائين ، الذين أخذوا آراءهم عن أفلاطون وأرسطو . وكان في دفاعه عن الاسلام يعمل على نشر الدعوة العربية ويؤيد سياسة الخلفاء العباسيين في التخلص من سيطرة الفرس . وكانت نيته في عمله صادقة ، والنية هي ميزان العمل . وانما الأعمال بالنيات .

٨ - المصادر

آ. حياة أبي الهذيل

- ١ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج ٣ ، ص ٣٦١ - ٣٦٧ - ٣٧٠
- ٢ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٤٨٠
- ٣ - ياقوت ، الارشاد ، ج ٣ ، ص ١٦٧٤
- ٤ - الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ، ص ٧٨ في الهامش عن النظام - ج ١ ، ص ١٠٤
في الهامش في ترجمة بشر بن المعتمر - ج ١ ، ص ٥٠ في ترجمة صالح بن عبد القدوس .
- ٥ - الجاحظ ، كتاب الجلاء ، ج ١ - ص ١١٨ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
- ٦ - العسقلاني ، لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٤١٣
- ٧ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٨ ، ص ٣٠٠ - ٣٠٢
- ٨ - ابن قتيبة ، عيون الأخبار : ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، طبعة دار الكتب
المصرية بالقاهرة ١٩٢٨
- ٩ - ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، ص ٥٣
- ١٠ - كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل لآحمد بن يحيى المرتضى ،
ص ٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٧٥ .
طبعة دائرة للمعارف النظامية بجمندر آباد الدكن سنة ١٣١٩ هـ .
- ١١ - محمد بن شاكر الكشي ، عيون التواريخ ، جزء ٦ ، ص ١٢٠ مخطوط
بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٤٧٠
- ١٢ - ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ، طبعة دار الكتب المصرية .
- ١٣ - أبو حيان التوحيد ، الامتاع والمؤانسة ، جزء ٢ ، ص ٩٠ ، مصر ١٩٤٢
- ١٤ - صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي ، كتاب نكت الهميان في
نكت العميان ، ص ٢٧٧ - ٢٧٩ ، مصر ، المطبعة الجمالية ١٩١١ .
- ١٥ - أمالي السيد المرتضى ، الجزء الاول ، ص ١٠٠ ، ١٢٤ .
- ١٦ - ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٥ ، الملحق ص ٣٤١

- ١٧ - الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ٥٤٧ .
 ١٨ - الفرر والدرر ، ١٢٤ .
 ١٩ - روضات الجنان ، ١٥٨ .
 ٢٠ - تاريخ العيني لسنة ٢٢٦ .
 ٢١ - المنتظم لابن الجوزي ، ٩٨١ .
 ٢٢ - طبقات المعتزلة لقاضي القضاة ، وهو ابو الحسن عبد الجبار بن احمد
 ابن عبد الجبار الهمذاني الاستربادي .
 ٢٣ - منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال تأليف ميرزا محمد الاستربادي
 مع تعليقات محمد باقر البهبهاني ، طبع بالحجر بطهران سنة ١٣٠٧ .
 ٢٤ - قاموس الأعلام ، لشمس الدين سامي ، ٤٦٠ .

ب - فلسفة أبي الهذيل

- ١ - الأشعري ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . عني بتصحيحه
 . ه . ريتز ، استانبول ، مطبعة الدولة ١٩٢٩ .
 ٢ - البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٤٨ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، مطبعة المعارف ، مصر .
 ٣ - دائرة المعارف الاسلامية ، « ابو الهذيل العلاف » .
 ٤ - الخياط ، كتاب الانتصار ، ص ١٧ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٧٩ .
 ٥ - الجوزي ، تليس ابليس ، ص ٨٨ .
 ٦ - فخر الدين الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٤١ .
 ٧ - الشهرستاني ، الملل والنحل ، ١٨ ، ٣٤ .
 ٨ - صوان الحكمة ، لظهر الدين البيهقي ، ٩٦٦ .
 ٩ - دي بوتر ، تاريخ فلاسفة الاسلام .
 ١٠ - الايجي ، المواقف .
 ١١ - Carra de Vaux - Ayicenne , p. 21 24 .
 ١٢ - Les penseurs de l'Islam =

جميل صليبا

أقرب الموارد

- ٢ -

ت ج ر - قال في جمع التاجر تجر وضبطها بالشكل فتحاً وكسراً والصواب فيها الفتح وجاء فيها تجر بالضم ولعلها جمع تجار وأما الكسر فلم أرَ أحداً نصّ عليه .
ت ر ز - وقال ترز (ن . و ل) تروزاً غلظ وييس أي أنها من بابي علم ونصر . والصواب أنها من بابي علم وجلس . تَرَزَ تَرَزاً وَتَرَزَ بِتَرَزُ تَرَوِزاً .
ت س ع - قال تسيم أخذ تسع أموالهم . هكذا كسر التاء والصواب ضمها وقال التاسوعاء اليوم التاسع من الشهر . هكذا أطلقه . مع أنه خاص بالمحرم من الشهور وهو قبل يوم عاشوراء ، قال صاحب الصحاح . وأظنه مراداً . وليس الأمر كما ظنه لأنها رردت في الحديث الشريف عن النبي المصطفى أفصح الخلق وأعرفهم بأنواع الكلام .

ت ع ع - وقال تع ن تعاً وثمة استرخى . فجعله من باب نصر مع أنه مضاعف ثلاثي لازم والقياس في مثله باب ضرب ولم يذكره في الشواذ احد من الأئمة .
ت ل ل - وقال تلّ الرجل اليه تصرّع . هكذا بالضاد المعجمة . وفيه اللسان تلّ هو يتلّ تصرع (هكذا بالصاد المهملة) وتلّه للجبين صرعه كما تقول كبه لوجهه وأمتلّ بفتح الميم المصروع وبكسرهما الذي يتلّ به أي يصرع وأمتال الصريع كالتلؤل والتليل .

ت و ج - وقال التوّجي الصقر المنسوب الى توّج (الخ) هكذا ضم التاء في كل ما جاء به منها في هذه المادة والصواب فتح التاء ووزنها صاحب القاموس بيقم ونصّ على ان هذا وزن للأفعال ولم يرد منه للأسماء غير بقم وتوّج وأسماء أخرى .
ث ب ب - جعل ثب ثباباً من باب نصر وهو من باب ضرب قياساً وسماطاً .
ث ب ر - وقال ثبر البحر : زجر وصوابه جزر من الجزر ضد المدّ .

- ٢١٨ -

ث ج ج - وقال ثَجَّ الماء والدم ثَجًّا وثنجوجًا : سال فجعلها من باب نصر وهي من باب ضرب ان كان الماء مفعولاً (أي متعدية) ومن باب ضرب اذا كان الماء فاعلاً (أي لازمة) وكان عليه أن يفصل ذلك .

ث د ن - وقال : انه مُثَدَّن اليد أي مُخَدَّج . هكذا بالتشديد والصواب مُثَدَّنٌ وَمُخَدَّجٌ . قال في اللسان . قال ابن بري هو اسم مفعول من ائذنت الشيء اذا قصرته وألثدَّن الناقص الخلق وقيل مُثَدَّن اليد مُخَدَّج اليد . وأما المثدَّن بالتشديد فهو المسترخي اللحم الكثيره .

ث ر د - وقال الثَّرَد بالتحريك المطر الضعيف وتشقق الشفتين . ونص القاموس انه بالتحريك لتشقق الشفتين وبالتسكين للمطر .

ث ر ن - وقال ثَرِن : أذى صديقه وجاره ولكن عبارة التهذيب كما اوردها صاحب اللسان ثَرِن الرجل : آذى صديقه أو جاره .

ث غ ي - وقال الثغية: الجوع والاثغار يقال أصاب الحمي ثغية اي جوع واثغار ونص اللسان قال ابن سيدة في المعتل بالياء الثغية الجوع واقفار الحمي .

ث ف ل - وقال : ثفل الرحي وزان حَمَلِ ثفالها ولكن القاموس نص على انها بالضم أي وزان قفل .

ث ل ب - جعل من لغات الإثلب الإثلبُ . أي بكسر ففتح وهذه ليست هي من لغاته وإنما ذكروا فيه لغتين فتح الهمزة واللام معاً وكسرهما معاً والفتح أكثر وأظنه توهم من عبارة القاموس وهي قوله (الأثلب وبكسر) ان الكسر للهمزة خاصة وليس كذلك بنص اللسان :

ث ل ع - وقال . المثلَع : المشدَّخ من البسر وغيره - هكذا وزان مقتل وصوابه المثلَع كمعظم .

ث ل ل - وقال . ثلَّة البئر ما اخرج من ترابها جِ ثلَّل أي بكسر التاء وزان عنب وفي القاموس وزان مُصرَد (نصاً) .

ت ن ث ل - وقال تنثل تعذَّر . . . وصوابه تقذَّر . . .

ج أ ب - استشهد بقول الشاعر :

كَعَرَّضُ جَابَةَ الْمِدْرَى خَذُولٌ بِصَاحَةِ فِيهِ امْرَتَهَا السَّلَامُ
فَنَضَبْتُ خَذُولَ بِالرَّفْعِ مَعَ أَنَّهَا صِفَةٌ لِجَابَةِ الْمَجْرُورَةِ بِالْإِضَافَةِ وَحَقَّقَهَا الْجُرْثَمُ ضَبَطَ
صَاحَةَ بِإِخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَهِيَ صَاحَةُ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ كَمَا فِي اللِّسَانِ وَفِي التَّاجِ وَفَسَّرَاهَا بِأَنَّهَا جَبَلٌ .
ج ب أ - وقال : الجبَاءُ طَرَفُ قَرْنِ الثَّوْرِ لِنَجَاءِ بِهِ كَسَحَابٍ وَصَرِيحُ النَّجَاحِ أَنَّهُ كَشَدَّادٌ .
ج ث ث - وقال : الْجَبْتَةُ شَخْصُ الْإِنْسَانِ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا . وَالصَّوَابُ أَوْ نَائِمًا
وَفِي اللِّسَانِ الْجَبْتَةُ شَخْصُ الْإِنْسَانِ قَاعِدًا أَوْ نَائِمًا وَقِيلَ جَبْتَةُ الْإِنْسَانِ شَخْصُهُ مَنْكَبًا
أَوْ مُضْطَجِعًا . . . فَأَمَّا الْقَائِمُ فَلَا يُقَالُ جَبْتُهُ إِنَّمَا يُقَالُ قَمْتُهُ وَفِي النَّجَاحِ إِنَّمَا يُقَالُ قَامْتُهُ (١)
ج ح ر - وقال : خَرَجَ عَلَيْهِ حِيَةٌ مِنْ حَجْرَاهَا . هَكَذَا قَدِمَ الْخَاءُ عَلَى الْجِيمِ
وَجَعَرَ الْحِيَّةَ جِيمَ فِجَاءٍ .

ج خ ف - وقد جمع الجخيف (بمعنى صوت بطن الانسان) على جُخِفٍ وَإِنَّمَا
جُخِفٌ جَمْعٌ لِلجخيفِ بِمَعْنَى الْقَصِيرِ لِأَنَّ الْأَوَّلَى مَصْدَرٌ وَالْمَصْدَرُ لَا يَجْمَعُ إِلَّا
بِنِثْتِ تَقُولُ سَمِعْتُ جَخِيفَ النَّائِمِينَ وَلَا تَقُلُ جُخِفُ النَّائِمِينَ . وَأَمَّا الثَّانِيهِ فَهِيَ
الَّتِي تَجْمَعُ عَلَى جُخِفٍ كَسَرِيرٍ وَمُرُورٍ .
ج د د - وقال صرحت بِجِدَاتٍ هَكَذَا بضم الجيم والصواب كسرهما
كما في كتب الأئمة .

ج د ف - جعلهما من باب نصر والصواب انهما من باب ضرب كما نصت
ج ذ ب - عليه كتب الأئمة .
ج ر ب - وقال اجرنبى اجرنباء : مثل اشراب زنة ومعنى وأظنه لفة فيه .
هذا كلامه وإنما التي على زنة اشراب وبمعناها هي اجراب واما الاجرنباء فهو
النوم بلا وسادة وهو غير معنى اشراب ولا بوزنه .
ج ر ذ - وقال : جرذت القرحة ن جرذاً تعقدت فجعله من باب نصر
وهو من باب فرح كما ضبطه الصاغاني .

(١) جاء في عبارة التاج المطبوع بحمر الجنة شخص الانسان قاعداً أو قائماً فأما القائم فلا
يقال له جنة قوله أو قائماً غلط من النسخ أو سبق قلم يدل عليه قوله فأما القائم فلا يقال له جنة

ح رس - وقال زيد مجرس لعمره هكذا ضم الميم وأورد الشاهد كذلك
مضموم الميم وفي لسان العرب مجرس بفتح الميم وفي الشاهد كذلك مفتوحها ثم
كذلك في كلام أبي حنيفة .
ج رع - جاء بالشاهد هكذا :

بأجرع مقفار مَرَب محلل

ولكنه في اللسان بأجرع مِرْبَاع وهو المناسب لقولهم في تفسيره ولا يكون
مَرَبًا محلاً إلا وهو ينبت النبات .

ج رف - وقال الجرف بالضم وبضمتين . . . ج أجرُف (أي وزان
الكلب) وفي اللسان ج اجراف وجرُوف (أي وزان ضرُوب) وجرُفة ولم
بذكر أجرُف ولا القياس يقتضيه .

ج رم ز - وقال اجرَمَزَ فشدد الزاي والصواب اجرَمَزَ بتشديد الميم .
ج زر - وقال الجزار والمجزير والزاجر . وصوابه والجازر وأحسبه غلطاً مطبعياً .
ج ج ع - وقال . . . من وجع أصابعه وصوابه من وجع أصابه ولعله غلط مطبعي .
ج ف س - وقال جَفَسَ جفاسة أي بكسر الجيم والصواب جفاسة
كسحابة كما نص عليه صاحب التاج .

ج ف ل - جفله جفلاً جرفه . جعلها من باب نصر والصواب انها من باب ضرب .
= - الأَجْفَلَى كسر همزتها والصواب فتحها .

ج ق ق - جق الطائر جعلها من باب نصر والصواب انها من باب ضرب .
ج ل ح - أُلْجَحَ الاكول جعلها ككُكْرَم والصواب أنها ككحَدِث للاكول
وكعظْمَ للأكول .

ج ل ط - قال جالطه كايده بالياء المثناة التحتية وصوابه كابده بالياء الموحدة
كما في القاموس^(١) وفي الشرح نسبه الى ابن الاعرابي .

(١) وربما كان الصحيح أو الأصح أن جالطه كاذبه قال في اللسان ومن كلام العرب
الصحيح جلط الرجل يجلط اذا كذب والجلط المسكاذبة .

ج ل م د - وقال الجلمد الرجل الشديد الصلب . وفي كتب الأئمة الجلمد الرجل الشديد الصوت كالجلمدة قاله الليث .

ج م خ - جعل جمع جمعًا اذا نخر وتكبر من باب نصر وفي اللسان وغيره من باب منع .

ج م خ ر - وقال الجمخر القصب الأسود من قصب العظام والصواب القصب الأجوف .
ج م ع - وقال الجماعة الغل لضرب من الحلبي لأنها تجمع اليدين الى العنق هكذا يعلها . وليس في الحلبي ضرب يجمع اليدين الى العنق والصواب أن يقول هكذا الجماعة الغل لأنها تجمع اليدين الى العنق والجماعة ضرب من الحلبي وبهذا تسلم عبارته .

ج م ن - وقال الجماني الرجل الطويل أُلجَمَة على غير قياس . فكأنه منسوب الى الجمان كسحاب والصواب أُلجَمَانِي يجمع مضمومة بعد هاءيم مشددة نسبة الى أُلجَمَة .
ج ن ك - أُلجَنك من آلات الطرب هكذا ضم الجيم والصواب فتحها كما في شفاء الغليل .

ج ه د - وقال الجاهد السهران . ونص الأئمة غرثان جاهد شهوان يجهد الطعام لا يترك منه شيئًا (مجاز) . فصحف وابدل .

ج ه ر - وقال الحروف المجهورة المهموسة وظاهر عبارته ان المهموسة تفسر للمجهورة وليس الأمر كذلك وصحة العبارة ان يقول الحروف المجهورة ضد المهموسة ولعل كلمة ضد سقطت من الطابع .

ج و ب - وقال الجوبة الحفرة . . . ج م ج و ب نادر لأن قياس فعلة ان يجمع على فعال كشمرة وثمار والصواب الجوبة بإسكان الواو وجمعها جوبات ومجوب كصرد قال صاحب التاج وهذا الأخير نادر . وذلك لأن فعلاً جمع فعلة مضموم العين كعُرُفة وعُرُف ولم يذكر احد من الأئمة فيما أعلم الجوبة محرقة لمعنى الحفرة .

ج و ر - قال ومنه في القرآن . أهل النار كل جمظري جواظٍ ، وليس

- هذا من القرآن بسبب ولا صلة ولو دقق في ما ينقله لقال وفي الحديث كما في النهاية .
- ج و ف - قال وتلعة جائفة قصيرة وصوابه قعيرة أي بعيدة القعر .
- ج و ل - وقال الجليل بالفتح الجال ونص القاموس وشرحه (و) الجول (ناحية القبر والبئر ... كالجيل) بالكسر (والجال) كل ذلك في المحكم .
- والجيل واوى العين وانما حلت الياء محل الواو لمكان كسر الجيم كما لا يخفى .
- ج و م - جمع الجام على جوم بالفتح وصوابه جوم كما في القاموس .
- ج ي س ر - وقال الجيسران جنس من أفخر النخل معرب كيسران بالفارسية .
- أورده صاحب القاموس في مادة ج ي س ، الجيسوان . بالواو وقال هو معرب كيسوان وأصله فارسي .
- ح ب ب - جمع الحب للجرة على حبيبة بفتح الحاء والصواب كسرهما كعنبية .
- ح ب س - جمع الحبيس الموقوف على حبسى والصواب في جمعه حبس قال في اللسان والحبس جمع الحبيس يقع على كل شيء وقفه صاحبه (الخ)
- ح ب ط - وقال في الحبط (محرمة) انها الآثار الوارمة التي تشقق وصوابه التي لم تشقق .
- ح ب ل - وقال الحبول الكر وهو حبل ... وصوابه الكر بالفتح .
- ح ت ر ف - وقال حترفه : زعزعه وصوابه حترفه بالثاء المثلثة كما في القاموس .
- ح ث م - وجعل حثم له من باب نصر وصوابه انه من باب ضرب كما في المختار .
- ح ت م - وجاء في الشاهد على حلة وصوابه على حالة .
- ح ج ر - جاء في حديث الأحنف قد رميت بحجر الأرض فاجعل معه ابن عياض صوابه ابن عباس .
- ح ج ز - وقال حمز : زنج لمرض في المعى صوابه زنج (بالجيم) والزنج محرمة اسم لمرض في المعى والمصارين صرح بذلك الأئمة .
- ح ج ل - وقال الحجال : البراق وصوابه البريق كما في القاموس .
- ر ب ج ل - لعبة : لعبة . وصوابه دوبي بالدال

- ح ج ل - التحجيل يياض... من آثار الطراد وصوابه من آثار الصرار .
 ≡ جاوز الأذساغ وصوابه الأرساغ (جمع رسغ) .
- ح ج ن - جعل حجن العود من باب نصر والصواب انه من باب ضرب .
- ح د ب - جعل من نجوم الحدب بكسر الدال للرجل الأحدب . احداب .
 وإنما الأحداب جمع حدب الرمل بفتح الدال وفعل لا تجمع على أفعال قياساً .
- ح د ب - وقال وحداب كقطام موضع ويعرب ممنوعاً... قال جرير :
 (لقد جردت يوم الحداب نساؤكم) . وامم الموضع الحداب بكسر الحاء وهو
 في بيت جرير كذلك كما في اللسان
- ح ذ ل - وقال الحدال . مستدار ذيل القميص وصوابه الحدل وزان جيل .
 ≡ ≡ الحدل صمغ الطلح والصواب الحدال بضم الحاء وقتحها
 وفسروه بشيء يكون في الطلح شبيه الصمغ .
- ح ر د - وقال قطاً حرود بالضم سراع كما في القاموس . والذي في القاموس
 حرود وزان عنق .
- ح ر د - وقال حاردت حالي : تنكرت وصوابه تنكدت بالدال .
- ≡ ≡ وتر حرود : بعض قواه أطول من بعض وصوابه وتر وزان جيل .
- ح ر ر - ≡ الحران بصورة التثنية والحراي وهما اخوان فغلب الحرا على
 ابي كما في الأب والأم ونص اللسان والحران الحرا وأخوه أبي... كان
 أحدهما أشهر من الآخر سمياً جميعاً باسم الأشهر والعجب من المؤلف كيف
 عدل عن عبارة اللسان الواضحة الى عبارته هذه المعسلة .
- ح ر س - وقال : قالوا ولا يقال حارسي الا اذا ذهب به الى معنى الحراسة
 دون الجنس والصواب لا يقال حارس (بدون ياء النسبة)
 ≡ الحرمي واحد حرس السلطان ج حرسية . ان هذا الجمع غريب
 وأحسبه عامياً ونص الأئمة الحراس .
- ≡ وقال فلان يأكل الحراسات وصوابه الحراسات بكسر الحاء كما في اللسان

ح ر ص - جاء في جمع الحريص على حِرَاصٍ وصوابه حِرَاصٌ كحكيم
وحكماً واحسبه غلطاً مطبعياً .

ح ز ن - وقال حَزَنَهُ حَزْنًا . . . لغة تميم واحزنه مثل حَزَنَهُ وحَزَنَهُ لغة قريش .
والذي جاء في اللسان هكذا . الجوهري حَزَنَهُ لغة قريش وأحزنه لغة تميم وقد قريء
بها اه . وحكي عن ثعلب ان الثلاثي لغة قريش وأفرهما الأزهري وهو قول ابي عمرو .
ح س ب - وقال استعطاني فاحتسبته ا كثر له (الاساس) لكن عبارة
الأساس فأحسبته أي على افعال لا على افتعل ويشترط في النقل الأمانة .

ح س ر - وقال وكل ما في القرآن من حسرة فهي الندامة الا قوله فيجعل
الله قلوبهم حسرة فان معناه الحزن أما الآية فقد حَرَّفَهَا ونصها : « ليجعل الله ذلك
حسرة في قلوبهم » (آل عمران) وقد قيل في معنى الحسرة في هذه الآية الندامة
وجاءت الحسرة في القرآن لغير الندامة في قوله تعالى : « يا حسرة على العباد
ما بأنهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » . فكليته هذه منقوضة على ان الأصل
في معنى الحسرة الكشف والمراد بها الغم بما انكشف من فوات شيء هكذا قالوا .
ح س ب - وقال والحسبان بالضم الحساب ومنه في القرآن : « الشمس والقمر
بِحُسبان » أي يجريان بحساب معلوم مقدر . و - السهام الصغار الواحد حُسبانة .
وهذا كل ما جاء في أقرب الموارد في معنى الحسبان . وأما ما جاء في كتابي
(من اللغة) في معناها فهو « الحسبان يكون جمعاً للحساب كشهاب وشهبان .
ومصدر الحسب نحو الشكران والغفران واسماً للمصدر و - العذاب و - البلاء
والشر و - الجراد و - العجاج و - النار و - سهام يرمي بها الرجل في جوف
قصة بنزع في القوس ثم يرمي بها فاذا نزع في القصة خرجت الحسبان كأنها
غبية مطرت ففرقت في الناس واحداً حُسبانة وأصل الحسبان السهام التي ترمى
لتجري في طلق واحد وكان ذلك من رمي الأساوره وأصل الباب الحساب وانما
يقال لما يرمى به حسبان لأنه يكثر كثرة الحساب ويطلق اليوم على السوائل
المتلتهبة التي يقذف بها في الحرب ويصيح إطلاقه على بنادق الرشاش المعروفة اليوم .
م (٣)

ح س ن - وقال ومنه في القرآن: قل هل تربصون الا احدى الحسنيين
سقط من الآية بنا بعد تربصون .

ح ش ش - وقال قام فلان الى فلان فاستحشاه اي حضر معه هكذا جاء
بها من معنى الحضور وصوابه اي فصفر معه من الصفر أو من الصغار .

ح ط ط - وقال في مصدر حط البعير اخطاط وصوابه اخطاط بالكسر وقد انصواعليه
منكب مُحَطَّ ليس بمرتفع ولا مُسْتَفَل (هكذا بالفاء) والصواب
المنحط وهو من المناكب المُسْتَفَل الذي ليس بمرتفع ولا مُسْتَقَل ومعنى المستقل
(بالفاء) المحطوط والمستقل (بالقاف) المرتفع والعطف هنا عطف تفسير .

ح ط ط - وقال حط الرجل حطاً: حذر من علو الى سفن هكذا أورد
الرجل بالجيم مرفوعاً على انه فاعل وصوابه حطَّ الرَّحْلُ بالخاء منصوباً على أنه
مفعول وذلك اذا حذرَه من أعلى الى أسفل .

ح ف د - وقال المحفد كجلس شيء تُعَلَّقُ فيه الدواب والصواب تعلق وقد
أورده على صحته في المحفد ككبر فكان هذا غلطاً مطبعياً .

ح ف ن - وقال الحفنة بالضم ملء الكفين وكرر ذلك بهذا الضبط
والصواب فتح الخاء في سائر مواردنا لهذا المعنى كما في اللسان .



أخطاء مطبعية

جاء في كلمتي المنشورة في الجزء السابق من هذه المجلة أخطاء مطبعية فلتصحح بالقلم:

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
١	١١٩	بالمشار	بالمشار	٧	١٢٣	در عيني	و - عيني
١٢	١١٩	آنح	آنح	٢	١٢٤	اني الله	اني أنا الله
١٧	١١٩	البانورنج	البانورنج	١٧	١٢٤	الحثي	الحثي بالثناء المثناة

أحمد رضا

(جبل عاملة)

النبطية

(١) الملك الظاهر بيبرس

- ٢ -

وكان أول ما صنعه بيبرس مكتبة ملوك الأطراف وأمراء الشام بأمر
تسليمه عرش المملكة المصرية . ومن هؤلاء الملوك صاحب حماة الذي بايعه
مفتبطاً جذلان . ولم يتخلف عن طاعته سوى (الأمير سنجر الحلبي) نائب دمشق
فانه حلف أمراءها لنفسه . ثم دعا اليه صاحب حماة الملك المنصور فأبى قائلاً :
(أنا مع من يملك الديار المصرية كائنًا من كان) . وجعل سنجر يجيب أهل
دمشق بنفسه . وعرف منهم حبّ اللهو فيسر لهم أسيابه . وأمر بتجديد القلعة .
فعملوا في بنائها حتى النساء أنفسهن . ولما كملت زفوها بالمغاني والطبول والبوقات .
فكان يوماً مشهوداً . وبلغت فعلته ومروقه من الطاعة بيبرس فاتخذ خطة حازمة أدت
أخيراً الى خضوع سنجر فولى مكانه على دمشق سيده الأول (الأمير ايديكين
البنديقاري) وأخذ بيبرس يتتبع أخبار أمراء الأطراف الذين يخشى انتقاضهم عليه :
فكان يلتقطهم الواحد بعد الآخر : بكل بهم أو يسجنهم أو يستصفيهم وينعم عليهم .
واهتم اشد الاهتمام بأمر الخلافة العباسية التي أضطها التتار وأراد استثمار هذا
الأمر في مصلحته وتثبيت مملكته والتفوق على منائيه من الملوك ولا سيما
بني أيوب فهو باحتضانه الخلافة العباسية يصبح هو وحده حاميا والمفوض من
قبأها في حماية الاسلام . وصيانة بلاد الاسلام .

وقد بلغه أن التتار بعد أن قتلوا الخليفة المستعصم أطلقوا من في سجنه من
أهله . وكان فيهم (ابو الفاسم أحمد) الذي لقب (بالمستنصر الثاني) فلجأ الى
عرب العراق وجعل يتنسم أخبار بيبرس متشوقاً اليه . وبيبرس أكثر شوقاً

(١) القسم الثاني من محاضرة الأستاذ المغربي التي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق
بتاريخ ٢١ كانون الأول سنة ١٩٤٥ وقد نشر القسم الأول في العدد السابق .

- ٢٢٧ -

اليه . وأشدُّ رغبةً فيه . وبقيت الخلافة شاغرةً مدة ثلاث سنوات ونصف حتى وفد المستنصر أخيراً على بيبرس في حماية أميرٍ عربٍ الفضل (عيسى بن مهنا) فركب الملك للقائه وأقيمت المهرجانات في القاهرة عند قدومه . وبويع المستنصر بالخلافة . وكان أول من بايعه قاضي القضاة ثم بايعه بيبرس فالعلماء والأمرء . وبعد ان تمت البيعة للخليفة جاء دور إعلان ملكية بيبرس . فعقدت لذلك حفلة كبرى . وكان الخليفة أمر بتفصيل خامةٍ سوداء وبعمَل طوقٍ من ذهب . وقيد من ذهب . وبكتابة تقليد بالسلطنة . فقرأ التقليد ، وألبس الخليفة بيبرس الخلعة السوداء بيده ، وطوق عنقه بالطوق الذهبي ، وقيد رجله بالقيد الذهبي . وشقَّ القاهرة بموكبه ، والأمرء يمشون بين يديه . فكان يوماً يقصر اللسان عن وصفه .

ولا غرابة في أن يطوق الملك بطوق الذهب ، فقد كان ذلك مألوفاً في تزاوين الملوك الأقدمين ، وأبين احتفالاتهم ، واكتنالم نفهم معنى للقيد الذهبي في رجل بيبرس ، فهل كان الغرض منه أن يكون خلخالاً للزينة كالطوق ؟ أو هو رمز الى ان بيبرس سوف يبقى عبداً للخلافة مقيداً بخدمتها ، وأسيراً لفضلها ومنتها !

وقد جاء في تقليد الخليفة لبيبرس مانصه : (وأمر المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع . ويعترف أنه لولا اهتمامك لانسع الخرق على الراقع . وقد قلدك الديار المصرية والشامية والفراتية والحجازية واليمنية ، وما يتجدد من الفتوحات غوراً ونجداً . وفوقض أمرها اليك حين أصبحت للمكارم فرداً) .

وهكذا انتقل الأمر والنهي من سلطة العرب إلى سلطة الأعاجم وبقي الخليفة في مصر لا شأن له . وكان أشبه بالسجين لكنه كان يزور أحياناً الأمرء والكتاب والقضاة : يهنئهم بالأعياد ، فالملك الظاهر إنما أعاد الخلافة العباسية لأجل ان يتلقى منها السلطة الشرعية ، ويخنج بها على منافسيه ، ثم أهملها حتى قام زميله الأعجمي الآخر (السلطان سليم العثماني) فنقل الخلافة من

مضر الى الاستانة وهناك طمس اسمها ، وُحِي رسمها ، حتى قام السلطان (عبد الحميد الثاني) فحاول إحياءها والاستفادة من قداستها ، فلم يرق ذلك لمن يدهم السيطرة العالمية فاحتالوا على إسقاطها في الاستانة ، ثم أرادت ان تنهض في مكة ولكنهم عادوا فأماتوها في قبرص .

ومنصب الخلافة أيها السادة ثالث ثلاثة محاور تدور عليها جامعة الاسلام ، فان كانت ماتت الخلافة فإن القرآن والكعبة حيان لن يموتتا ، بل ان فيها الكفاية لذوي الألباب .

وحصل في بلاد الشام خلاف بين أمرائها أدى الى وقائع ومناوشات فاتخذ بيبرس من نزاعهم ذريعة الى زيارتها ، وهناك شيء آخر قام في نفسه : وهو ان يصطحب الخليفة الجديد ويجهزه الى استرداد بغداد من ايدي التتار فدخل بيبرس دمشق وهو معه .

وهذه أولى سفرات بيبرس الى الديار الشامية ، وقد بلغت سفراته اليها ست عشرة سفرة ، ومدة سلطنته ثماني عشرة سنة ، فيصيب كل سنة وشهرين من أيام سلطنته سفرة واحدة الى الشام . وسنذكر ماجرى له في تلك السفرات ملخصاً تلخيصاً ، أما تفصيلها فمدونة في كتب التاريخ لمن أرادها .

ولما نزل دمشق كان أول من جاءه فيها ملك حماة (المنصور) الذي أنف أن يشتره خوف الشر اللامع في عينيه لكن بيبرس لم بأنف من الخفاوة به والاحسان اليه : فخلع عليه وأعطاه ثمانين ألف درهم ، وهدايا أخر ، وثبته في مملكة حماة الى ما شاء الله حتى كان من ذريته المؤرخ (ابو الفدا) ملك حماة ومفخرتها . وأخذ بيبرس في إعداد حملة للخليفة (المستنصر) وتجهيزها بكل وسائل الأبهة والعظمة ، حتى قيل إنه أنفق عليها أكثر من مليون دينار ، وسار الخليفة وفي ركابه عدة ملوك ، أما بيبرس فلم يصحبه ، ولم يلق بنفسه في الأتوت : ذلك أن الخليفة لما دخل العراق اتقاد اليه بعض مدنها ، واستعصى عليه بعضها ، وصمد اليه (قرايوغا) عظيم التتار بجنوده وذلك سنة (٦٦٠ هـ) ولم يكن مع

الخليفة من الجنود الا التركان وجماعة من العربان . وتسأل من رافقه من الملوك ، فلم يشهدوا الواقعة معذرين بقولهم (مامعنا مرسوم بذلك) يعنون من بيبرس فهل كان هذا التدبير من مكاييد بيبرس للتخلص من الخليفة الأسود اللون والمشكوك في نسبه الى بني العباس ، فورطه في هذه الفتنة الترابية حتى غرق فيها . ولم يظهر له أثر بعدها ؟ وهذا ما حدث : فان المستنصر لما التقى بالتار أحاطوا به فنجح بعض أمراءه ومنهم أمير عرب الفضل (ابن مهنا) وقتل بعضهم . أما هو فلم يوقف له على خبر : قيل 'قتل' ، وقيل نجح مجروحاً ومات في منازل العربان ، وقيل سلم وأضمرته البلاد ، وهكذا تم ما أراد بيبرس وتخلص من الخليفة بعد أن أصبح ملكاً شرعياً بمبايعته له .

ولعل بيبرس لم يرد هذا وإنما اراد بهذه الحملة أن يعجم عود التار ومبلغ قوتهم ، ولم يشأ أن يغامر بنفسه وهو بعد في السنة الثالثة من ملكه ، فلم تتوفر لديه القوة ولا أسبابها من عتادٍ وسلاح ، ولم يطمئن بعد الى من حوله من الأمراء الطامعين في الملك : فان بعضهم مازال يراوغ ويضمر السوء ، وينزو هنا وهناك نزوان الثعالب . ومنهم الأمير (آقوش البرونلي) الذي أراد أن يستبد بجلب ثم عاد فخضع .

ورجع الملك الظاهر الى مصر من دون أن يكون معه خليفة ، غير أن مصر أصبحت مطمح أنظار الطامعين بالخلافة من آل العباس فقصدوها منهم (الحاكم بأمر الله) فاحتفى به بيبرس وعقد مجلساً لمبايعته فبويع لكنه رسم عليه أن يبقى في القلعة شبه سجين .

وفي سنة (٦٦٣ هـ) كثرت الشكاوي على قاضي مصر (ابن بنت الأغر) ونسبوا اليه التراخي في الأحكام فرأى الملك أن يجعل القضاة أربعة : لكل مذهب قاضٍ في مصر وفي دمشق أيضاً ، واتفق ان كان من قضاة دمشق ثلاثة ، كل منهم كان يلقب بشمس الدين : شمس الدين بن إخلكان الشافعي . وشمس الدين الأذرعي الحنفي ، وشمس الدين بن أبي عمر الحنبلي . فقامت دمشق

تشكرو وتقول : ما الفائدة من هذه الشموس . وظلام الجور مخيمٌ فوق الرؤوس ،
وقال شاعرهم : بدمشق آيةٌ قد ظهرت للناس عاما
كلما ازدادوا شمساً زادت الدنيا ظلاما

وكان التجاسد والتنازع حول الوظائف الدينية بالغامبلغة في ذلك العهد : من
ذلك ما ذكره (ابن أبي عذيبه) في تاريخه : ان التتار لما وصلوا الى حمص جمع
الشيخ (محي الدين بن الذكي) صدرُ دمشق في ذلك العهد علماءها ، وأهل المناصب
فيها وأشار عليهم أن يهيئوا هدية سنوية يتوجه بها الى حمص ويقدمها الى ملك
التتار باسم مدينة دمشق ملتسماً منه عدم التعرض لها بسوء ، فاستحسنوا رأيه ،
وأخذ الهدية وقدمها اليه فقبلها شاكرًا وولاه قضاء الشام . فكبر الأمر على
منافسيه من علماءها ، فجازوه على حن صنيعة : بأن أرسلوا الى (الملك الظاهر)
يقولون : ان الشيخ الذكي اقتطع لنفسه من الهدية قسمًا كبيراً وطلبوا محاسبته ،
فاستدعاه الملك الى مصر وسأله عن القضية فشرحها له ، ولما تبين صدقه بنفسه
به أن يعيش في دمشق بين أولئك الحسدة فأبقاه لديه في مصر .

ولما استقرت الحالة الداخلية في المملكة أخذ الظاهر يفكر في الحالة الخارجية
وكان يهيم في الأكثر تطهير البلاد من الصليبيين ، فخرج من مصر الى الشام
وهي سفرته الثانية وذلك سنة ٦٦٤ هـ ونزل عين جات قرب نابلس ، ومنها بثَّ
جنوده فأغاروا على عكا وصور وطرابلس فسبوا وغنموا . ثم نهض هو الى صفد
فامتنت عليه إلا أن يخلف لم هو نفسه على شروط الصلح ، وكان في صدره
خزايةٌ عليهم فمكر بهم مكرًا حاسبه عليه التاريخ ، ولامه ميور الانكليزي بسببه
أشد اللوم : ذلك أنه اجلس على كرسيه أحد أمرائه (كرمون آغا التتاري)
خلف كرمون آغا لرسل صفد وهم يظنونهم الملك الظاهر لشدة شبهه به .

وتسلم الملك القلعة ، وبلغه ان أهلها أخذوا بعض ماله قيمةً من التحف وكانوا
تعهدوا أن لا يفعلوا . فأمر بضرب رقابهم ، ورجع الى مصر وكان أمر بعماره
جسر على نهر الشريعة فظهر خلل في بعض أركانه وتعدّر إصلاحه بسبب طغيان

المياه فقلق الملك واتفق ان وقعت قطعة من الجبال على المجاري فانقطع الماء فأصلحوا الجسر وعادت المياه الى مجاريها . وُعدَّ هذا من حسن طالع الملك ، ثم رجع بيبرس الى الشام لتناجزة الصليبيين في ٧ جمادى الآخرة سنة ٦٦٥ فاستولى على انطاكية في ٤ رمضان : ففي خلال الثلاثة الأشهر إلا أياماً اجتاز بيبرس قنار صحراء مصر وطور سيناء حتى بلغ يافا ففتحها وفتح بعدها شقيب أرنون واكتسح أرباض طرابلس وحصن الأكراد ومرَّ بجمص وحماة وأفاميا حتى انطاكية ففتحها : معادل حصينة ، وعدوَّ جبار مسلَّح ، ومسافات طويلة تبلغ زهاء الف كيلو متر ، ولا سكك حديد ، ولا سيارات نقل ، ولا طائرات ، ولا بخار ، ولا كهرباء ، ولا تلفونات . أليس كل هذا من خوارق هم جارنا الملك الظاهر ، وشدة مضائه ، وعجيب عزائمه ! وماذا كان شأن بيبرس في الشام بعد هذا الفتح ؟ كان شأنه في الشام كما كان شأنه في مصر : قلق واضطراب وحذر وسوء ظن يجعله لا يستقر على حال ، ولا يهدأ له بال . كان وهو في مصر يفكر في حال أمراء بلاد الشام وملوكها : أهم باقون على ولائهم مستمسكون بطاعته ؟ يفكر في بقايا الصليبيين أما حان جلاؤهم عن البلاد ؟ وهناك أرمن وتتر على الحدود في الشمال والشرق ما فتئوا يعيشون ويتربصون الدوائر بالبلاد - كل ذلك كان يزعجه فيُعجِّل من مصر الى الشام فيعمل ما سمعتم نموذجاً منه آنفاً . حتى اذا استقر في الشام أخذ يفكر في مصر وأمرائها : أباقون هم على طاعته والنصح له والالتفاف حول وليّ عهده وضيغمه في قبره (الملك السعيد) فيهبُّ من فوره ويسرع الى مصر . وهكذا قضى سني ملكه يراوح بين الرحلتين .

وبتنزى تنزى النمر بين القطرين .
اكتسح الشام وفتح انطاكية وعيِّد في دمشق . وعاد الى مصر فدخلها في ١١ ذي الحجة سنة ٦٦٥ ورأى ان يحتفل بولاية العهد لابنه السعيد ففعل وأخذ القضاة يحلفون الأمراء على بيعته وامحاض النصح في خدمته . وخرج الموكب من القلعة بأبهة السلطنة والظاهر بيبرس ماشٍ على قدميه أمام ابنه ، وولي عهده .

كل ذلك زيادة في تمكين السلطان له ، وتقريره في نفوس الأمراء : فلا تحدثهم أنفسهم بالانتقاض عليه ، واختلى به يوماً فقال له : (إنك صبي وهؤلاء الأمراء الأكبر يرونك بعين الصبي فمن بلغك عنه ما يشوش عليك ملكك وتحققت ذلك منه فاضرب عنقه ، ولا تنشر أحداً فيه ، وافعل ما أمرتك به وإلا ضاعت مصلحتك) .
ولما هدأ باله من جهة ابنه سافر الى الشام لمقابلة رسل التتار فأنزلم في القلعة واستقبلهم فيها وأدوا رسالة ملكهم (ابغا بن هولوكو) ومما قال له فيها : (وأنت لو صعدت الى السماء أو هبطت الى الأرض ما تخلص منا . فالمصلحة ان تجعل بيننا صلحاً . وإنما أنت مملوك أبيت في سيواس (اي عرضت للبيع فيها) فكيف تشاقق ملوك الأرض وأولاد ملوكها ؟)

فوسع الملك الظاهر صدره لهذا التهديد والتعير ، وصرف الرسل برسالة ملخصها : إنه عامل على استرداد ما بأيديهم من بلاد الاسلام وسيروا .
ثم تسلل يبيرس عائداً الى القاهرة خفية ، والناس في دمشق يظنونونه مريضاً :
تعدوا الأطباء عليه وتروح .

و يفهم من كلام المؤرخ (ابن تغري بردي) ان يبيرس غادر بلاد الشام في ١٨ شعبان وعاد اليها في ٢٩ منه ، فكانت مدة غيابه احد عشر يوماً : منها أربعة أيام أقامها بمصر والباقي سبعة أيام للذهاب والاياب . أليست هذه السرعة في قطع المسافات من مواضع الصجب إن لم تكن من مواضع الشك في صدق الخبر وضبط الأرقام ؟ اللهم الا اذا ادعى مدع بأن يبيرس كان يمتطي خيل البريد المهيأة له في المنازل وهو منذ حدثته في بلاده اعتاد ركوب الأفراس والطراد عليها ، وكان شربه حليبها . أورثه صبرها ودؤوبها . وجعل اعصابه من اعصابها ، ووثوب الفهد ليس من العجيب . وقد يما قالوا لكل مسمى من اسمه نصيب .
وكان غرضه من تعجيل الزيارة لمصر الوقوف على أحوال ولده وحسن قيامه بأعباء الملك واخلاص الأمراء له والاطمئنان الى خلو الجو من الدسائس والمؤامرات ؟ كل هذا كان يخافه الظاهر يبيرس لأنه درس طبيعة ذلك العصر

وأخلاق أهله منذ حدثته : فهو يعرف ان الابن أحياناً يخون أباه وبالعكس ،
واخشداش^(١) يخامر على خشداشه ويسلمه الى الهلكة . فلا تعجبوا أيها السادة
من سوء ظن جارنا الملك الظاهر وشدة حذره .

وفي سفرته هذه الى الشام شخص منها الى الحجاز فأدّى الفريضة وزار
المدينة المنورة فهرب منها المتغلب عليها (حجاز بن شيمية) من امراء عرب
الفضل . فعجب بيبرس لهروبه . قال : ولو ظفرتُ به لما قتلتُهُ لأنه في حرم
النبي ﷺ . ورجع الى مكة فطاف وسعى وصعد الكعبة وغسلها بيده بماء الورد
وعاد الى الشام فمصر فأغدق الهدايا والخلاص والمال على أمراءه ، ثم عاد الى الشام
وهذه هي السفرة السادسة من سفراته ، وأريحوني أيها السادة من تعيين مقدار
الأيام التي كان يمكثها هنا وهناك وفي الطريق فقد عرفتم نماذجها مما مرّ . وأنا
أشعر أنكم مذ تصورون قتلته الظاهر ركبه في سفراته . ونشاطه في غدواته وروحاته
تقارنون بينها وبين سكونه الأبدى في هذه الحفرة الضيقة التي وصفها سيدنا علي
فقال : (لو زيد في فسحتها ، وأوسعت بدا حافرها ، لأضغطها الحجر والمدر ،
ولسدّ فرجها التراب المتراكم) .

وقد أمر بيبرس وهو في الشام ابن اخت ملك عكا ، وبلغه ان مراكب
الافرنج دخلت ميناء الاسكندرية واستولت على مركبين للمسلمين فيبّ مسرعاً
الى مصر ، وبلغه هناك ان مراكب الافرنج عادت فنهبت ميناء الاسكندرية
فأمر بتقوية وسائل الدفاع عنها : من ذلك أن تقتل كلابها ، وتغلق حوانيتها
ليلاً وان لا يوقد فيها نار ليلاً . ونهض الى الشام . وهذه هي سفرته السابعة
فمر بعسقلان فيدم سورها فوجد تحتها كوزين فيها ألفا دينار ذهباً ففرّقها على
إصحابه . ولم يصل هذه المرة الى دمشق بل عاد الى مصر ثم لم يلبث أن عاد

(١) الخشداش كلمة تركية شاع استعمالها بين ممالك ذلك العهد ، وكان الواحد منهم يطلقها
على مملوك آخر توفقت بينهما أوامر الود مذ كانا مملوكين لسيد واحد ، وجعلها بعضهم
مرادفة لكلمة Camarade الافرنسية .

الى الشام فدوَّخ وفتح وأسر من الصليبيين حتى التي عصا التسيار أخيراً على
(حصن الأكراد) المعقل المنيح المشهور بين حمص وطرابلس فهدم أسواره
واستولى عليه . وعلى البلاد التي حوَّالیه .

ثم قصد طرابلس وشدَّد الحصار عليها . وفي آخر الأمر هادن صاحبها (ييموند)
على شروط : ومن تلك الشروط أن تكون عرقة وقراها (وهي ست وخمسون
قرية) صدقة من يبيرس على البرنس ، وهذه إحدى دُعابات جارتنا الملك . فأنف
البرنس (ييموند) وتوقَّف عن توقيع الاتفاقية وأبي يبيرس إلا إبقاء هذا الشرط
بهذا التعبير . وفي آخر الأمر وقع البرنس الاتفاقية مكرهاً .

وعاد الظاهر الى مصر بعد أن أنفق في هذه السفرة على عسكره ثمانمائة ألف
دينار . وكان بلغه أن طائفة من الأمراء تأمروا عليه وهو ما كان يخشاه
ويقلق راحته فقبض عليهم ومجنهم في القلعة .

وبلغه ان صاحب قبرص جاء الى عكا فاغتنم يبيرس فرصة غيابه وأرسل الى
قبرص حملةً بحرية فعصفت بها الرياح وتحطم من شوانيها (أي سفنها) أحد عشر
من سبعة عشر شونياً . وأخذ من فيها أمرى ، وكانوا ألفاً وثمانمائة . فعظم ذلك
على الملك وأمر بمنع الخمر فأريقت . وكان التزامها ألف دينار كل يوم .

المغربي

(لها بقية)



ضرب الحوطة على جميع الحوطة

للمحافظ محمد بن طولون الدمشقي الحنفي رجمه الله

نشرها نشرأ جديراً وعلق عليها الدكتور محمد أسعد طلس

(القسم الثاني)

ترجمه المؤلف

ابن طولون: هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن احمد المدعو بمحمد ابن علي بن منارويه ابن طولون الصالحى الدمشقي الحنفي المكنى بأبي الفضل . ولد بصاحية دمشق في حكر الحجاج المشهور في زمنه باسم حكر بني القلانسي قبلي مدرسة الشيخ ابي عمر كما يقول هو عن نفسه^(١) ويقول ابن العماد في شذرات الذهب: انه ولد بالسهم الأعلى قرب المدرسة الحاجبية . قلت ولا تناقض فان السهم الأعلى اسم يشمل المدرستين العمرية والحاجبية وما حولها وكل ذلك زال في يومنا هذا وانما يطلق عليه اسم حارة لاكراد . والعمرية باقى اكثر مرافقها أما الحاجبية فلم يبق منها الا حيطانها ولا تزال معروفة باسم الحاجبية^(٢) . وكان مولده في ربيع الأول من شهور سنة ثمان وثمانمائة تقريباً كما يقول هو عن نفسه . ماتت والدته - ازدان التركية - فعنى به أبوه وتعلم الخط بمكتب المدرسة الحاجبية ثم حفظ القرآن بمكتب مسجد الكوافي الشهير الآن بمسجد العساكرة بالسهم الأعلى وصلى به في هذا المسجد في رمضان سنة سبع وثمانين وحضر خلفه في الصلاة شيخ الاسلام زين الدين بن العيني الصالحى وشمس الدين محمد بن عيسى البغدادي . ثم حفظ المختار في الفقه الحنفي وعرضه على الزين العيني بمحل تدريسه

(١) انظر رسالة « الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون » لابن طولون نفسه وقد ترجم فيها نفسه ونسرها السيد حسام الدين القدسي باسم رسائل تاريخية رقم [١] بمطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٤٨

(٢) انظر كتاب منادمة الأطلال للرحوم بدران . وكتاب تمار المقاصد لابن عبد الهادي الذي نشرناه وعلقنا عليه وذيلناه .

بالجامع الأموي، ثم حفظ كتاب المنار في أصول الفقه الحنفي للحافظ النسفي وكتاب الخلاصة الألفية لابن مالك النحوي . والآجرومية لابن آجروم ، وكتاب الحدود لأبي عبد الله الأبيدي والمقدمة الجزرية لشمس الدين بن الجزري وعرض هذه الكتب سنة اربع وتسعين وثمانمائة على جماعة منهم شيخ الحنفية بدمشق العزيز الحمراء ، وشيخ الشافعية التقي بن قاضي عجلون ، وشيخ الحنابلة الشهاب العسكري ، وقاضي قضاة الحنفية المحب بن القصيف ، وقاضي قضاة الشافعية الشهاب بن الفرفور ، وقاضي قضاة الحنابلة النجم بن مفلح ، والقاضي التقي بن قاضي زرع ، والقاضي المسند البرهان القطب . ثم حفظ تلخيص المفتاح للجلال القزويني والشمسية في المنطق ، والفنية الحديث للعراقي ، وحرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع لابي القاسم الشاطبي ، والدرة في القراءات الثلاث نعمة العشرة لابن الجزري ، وعرضها على الجمال يوسف بن عبد الهادي . وقرأ القرآن بالسبع أفراداً وجماعاً على محي الدين الاربدي ، وبالثلث نعمة العشرة على الشيخ شمس الدين ابن البصير امام باشورة الباب الصغير . ثم اقبل على رواية الحديث النبوي عن جماعة منهم : ناصر الدين ابو البقاء محمد بن أبي بكر بن ابي عمر الصالحى الشهير بابن زريق ؛ قرأ عليه في مدة عشر سنين أكثر أمهات كتب الحديث وقد سماها باسمائها في الفلك المشحون^(١) كما أطال بذكر ترجمة شيخه هناك . وقرأ أيضاً على أبي الفتح المزي ، وخديجة الارموية . وكان يعني أثناء ذلك بالاشتغال بعلم الحديث النبوي دراية فقرأ على الشيخ المحدث جمال الدين يوسف بن عبد الهادي المشهور بابن المبرد بعض كتب السنة وكتاب النخبة وشرحها لابن حجر ، وقرأ على شمس الدين بن رمضان حل الفية الحافظ العراقي ، وقرأ على عمه الجمال بن طولون شرح الفية العراقي لزين الدين بن العيني ، ثم قرأ علم الكلام على جماعة منهم الملا عبد النبي شيخ المالكية : قرأ عليه شرح العقائد النسفية للتفتازاني مع حاشية الخيالي ، ثم شرح الطواع للاصفهاني ، وقرأ علم الاصول على جماعة منهم البرهان ابن عون ؛ قرأ عليه شرح المنار لابن فرشته ثم شرح المغني للقاءتي ثم شرح

(١) انظرها في من ١٠ - ١١

التنقيح لصدر الشريعة . وقرأ علم أصول النحو على جماعة منهم عبد الصمد الهندي
قرأ عليه : الاقتراح للسيوطي . وقرأ علم النحو على جماعة منهم الشهابي بن شكم :
قرأ عليه الأجرومية والبصروية للشمس البصري ، والملحة للحريري ، وقواعد
الاعراب والشذور وشرحه لابن هشام ، ثم الفية ابن مالك وشرحها لولده . وقرأ
علم التصريف على جماعة منهم الشمس بن رمضان قرأ عليه شرح العزى للتقنازاني ،
ومنهم الشمس الصفدي قرأ شرح المراح ، ومنهم الملا عبد النبي الهندي قرأ
قرأ عليه بعض شرح الشافية للجاربردي . وقرأ علم المنطق على جمع منهم الملا
شمس الدين قرأ عليه الرسالة الأثرية لأثير الدين الأبهري المشهورة بإيساغوجي
ثم شرحها للكافي ثم لابن الفزري ، ومنهم الملا عبد النبي قرأ عليه الشمسية
ثم شرحها للقطب والتقنازاني ، ثم شرح المطالع للقطب وجمل الخونجي وشرحها
للسيد وقرأ علم التفسير على جماعة منهم الشهاب العسكري : قرأ عليه بعض اتقان
السيوطي ، ومنهم الملا جلال الدواني قرأ عليه تفسير الفاتحة من الكشاف ثم
تفسير آية الكرمي للشرواني ، وقرأ علم العروض على جماعة منهم : الشهاب بن شكم
قرأ عليه الأندلسية لأبي الجيش الأندلسي ، ومنهم الشمس بن نصير قرأ عليه
الجزرجية . وقرأ علم القوافي على جمع منهم : الشهاب بن شكم والشمس بن نصير
وقرأ عليه الكافي لابن بري . وقرأ علم الطب على جمع : منهم رئيس الأطباء بدمشق
الشمس بن مكي قرأ عليه متن الكليات الايلاتي ثم شرح كليات القانون للرازي
ثم الموجز لابن نفيس ، وبعض شرح فصول ابقراط لابن القف ، وشرح الملا
نفيس على الأسباب والعلامات للسمرقندي وكتاب المنصوري ، ومنهم الجمل
ابن المبرد قرأ عليه كتابه في الأعشاب والطب النبوي ، ومنهم الشهاب القرعوني
قرأ عليه اماكن من كتاب الامتياز في الحيات لموصي اليلداني ، وقرأ علم الهيئة
على جماعة : منهم الشمس بن مكي قرأ عليه الملخص للجفميني وشرحه للسيد الشريف .
وقرأ علم الهندسة على جماعة : منهم الشمس بن مكي قرأ عليه اشكال التأسيس للشمس

السمرقندي ثم شرحه للسيد الشريف ، وقرأ علم المعاني على جمع منهم الشمس ابن رمضان ، وعلم البيان على الشمس وعلى عبد الصمد الهندي ، وعلم البديع على الشمس والعلاء بن مليك . وقرأ علم الحساب على عرفة الوراق والمنلا عبد النبي الهندي . وعلم الفرائض على عمه الجمال بن طولون وعرفة الوراق والبرهان بن عون . وقرأ علم الميقات على جمع منهم ابو الحسن المنوفي ؛ قرأ عليه رسالة المقنطرات للشرف الخليلي ثم رسالة الجيب للشمس التيزيني ؛ ومنهم عرفة الوراق قرأ عليه منظومة المقنطرات للبرهان الرزمي ، ومنهم الشيخ الشمس بن ابي الفتح قرأ عليه رسالته الشمسية في الأعمال الجيبية ، ثم كتاب تحفة الأحاب في الباذنج ونصب المحراب لأبي العباس ابن المجدى ، وقرأ علم الفلك على جمع : منهم الشمس بن ابي الفتح قرأ عليه كشف الحقائق في حساب الدرج والدقائق لأبي العباس بن المجدى ، ورسالة حساب الدرج والدقائق بمجدول النسبة الستينية لأبي الفضل الموقت ، وكتاب النيرين من زيح ابن الشاطر ، ومنهم ابو الفضل المؤذن قرأ عليه الكواكب السبعة من مختصر زيح ابن الشاطر الملقب بالدر الفاخر اختصار الشهاب الحلبي . وقرأ علم الطبيعي على جمع منهم الشمس بن مكّي قرأ عليه الهداية لأثير الدين الأبهري ثم شرحها للمنلا زاده ، وقرأ علم الآلهي على جمع منهم : الشمس بن مكّي قرأ عليه الهداية . وقرأ علم التاريخ على جماعة منهم : يوسف بن عبد الهادي قرأ عليه الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي ، وقرأ علم اللغة على جماعة منهم الشهاب العسكري قرأ عليه أماكن من المزهر للسيوطي ، وقرأ علم التصوف على جماعة منهم : ابو الفتح الاسكندري قرأ عليه أماكن من كتابة ابتغاء القربة باللباس والصحبة ، منهم الجمال يوسف بن عبد الهادي قرأ عليه كتابه صدق التشوف في علم التصوف وكتابه يد العلقه بلبس الخرقة والبسه ايها ومنهم ابو عراقية قرأ عليه عوارف المعارف ثم البسه الخرقة ايضاً . وقرأ علم الفقه على جمع منهم الزين بن العيني قرأ عليه بعض كتاب المختار للفتوي للشيخ المجد البغدادي ، ومنهم البرهان بن القطب قرأ عليه بعض كتاب المختار ، ومنهم شيخ القجاسية

الشمس بن رمضان قرأ عليه بعض الكتاب المذكور والكثر للحفاظ النسفي واجازه بالتدريس في ٧ ربيع الأول سنة ٦٩٩٩، ومنهم امام الحنفية البرهان بن عوف قرأ عليه مجمع البحرين لابن الساعاتي، والهداية للمرغنياني، اجازه بالافتاء في سنة ٩١١٠. وقال في كتابه الفلك المشحون بعد ذكر ما تقدم: وقد اشتغلت بعلوم اخر على اشياخ غرباء اعرضت عن ذكرها هنا لقلّة اهتمامي بها ومن اراد الاطلاع على معرفة ما تبسر لي نوع الامام به من انواع العلوم فعليه بكتابي المسمى باللؤلؤ المظوم فاني ذكرت في كل واحد منها ما تيسر لي من رسمه وموضوعه وغايته وعمن اخذته وماذا كتابي فيه واي شيء لي فيه من تأليف الى حين وضعي هذا المؤلف وفائدة مهمة منه وغالباً لا اخل بذكرها اجمع اذ هي الغرض وربما يستفاد منها أمور اخرى بالعرض ومجموع ما ذكرت فيه من العلوم ثمانية وثلاثون علماً على عدد موالي النبي صلى الله عليه وسلم وفي ضمنها علوم آخر تزيد مع هذه على اثنين وسبعين علماً. ثم سرد بعض اجازاته فارجع اليها اذا شئت^(١) اما الوظائف التي وليها فهي انه كان اول امره يعقد الأنكحة باذن من الخليفة بمصر وقد ذكر طرفاً من صيغ عقوده هذه في كتاب الفلك المشحون فارجع اليها^(٢) ومن وظائفه قراءة القرآن تحت قبة النسر بالجامع الأموي وذلك حسب وقف السلطان المؤيد شيخ، وقراءة القرآن بالتربة الشهائية بسفح قاسيون، وقراءة القرآن ايضاً بالتربة الاسعدية [السعديّة] بالجسر الأبيض، وقراءته بالسبع في المدرسة العمرية الى غير ذلك من القراءات القرآنية التي احصاها في ترجمته^(٣) ومن وظائفه قراءة الحديث النبوي بالمدرسة العزية بالشرف الأعلى^(٤) وقراءة صحيح البخاري ومسلم في وقف آسية بنت السعيني بإيوان تربة امها بالجامع الجديد. وقراءة البخاري المنسوبة لعم والده الخواجا برهان بن

(١) الفلك المشحون من ص ١٨ الى ص ٢٠ (٢) المصدر السابق ص ٢٠ - ٢٣

(٣) للمصدر السابق ص ٢٢ - ٢٣ (٤) أقول هي المدرسة العزية ولا تزال

موجودة أمام مدرسة التجهيز وانظر كتابنا ثمار المقاصد .

قنديل . ومن وظائفه امامة الخانقاه اليونسية بالشرف الأعلى وكان ساكناً بها في ٨ ربيع الآخر سنة ٩٠٨^(١) ومنها امامة الزاوية السيوفية بمحلة الفواخير في سلخ رجب سنة ٩٠٨ ، وامامة عمارة السلطان سليم بالصاحلية وهو أول من وليها في مستهل محرم سنة ٩٢٤ . ومن وظائفه خطابة المدرسة الركنية بسفح قاسيون في ١٢ ذي القعدة سنة ٩٠١ الى ان خربت محلتها . ومن وظائفه المشاركة والنظر على المدرسة المرشدية وكان له ربع اجرة المشاركة . ومن وظائفه تفرقة الربعة بالمدرسة الجوهريية في ١٢ رجب سنة ٩٠٩ . ومن وظائفه خدمة الكتب الخنفيه بالمدرسة العمريية ، وخدمة الكتب المنسوبة لعبد الرحمن بن العيني الموضوعية في تربته بالخانقاه داخل الجامع الجديد بالصاحلية ، وخدمة الكتب المنسوبة للعلاء البخاري الموضوعية بمشهد عمروة بالجامع الأموي وقام بذلك سنين عن عمه الجمال ومن وظائفه كتابة الغيبة بالمدرسة الجوهريية . ومن وظائفه تدريس التصوف بالخانقاه اليونسية والخانقاه الحسامية بالقرب من الشبيلية^(٢) . ومن وظائفه أيضاً الفقهة في الماردانية والخانقاه البرانية وفي ابواب الجامع الجديد ، والمدرسة الجوهريية والمرشدية والمنجكية ، والدماغية داخل باب قلعة دمشق ، والجمالية والشبيلية الجوانية^(٣) ومن وظائفه الاعادة بالمقدمة الجوانية . ومن الوظائف التي كان يشغلها التدريس في الماردانية ، والعذراوية ، والخنفيه بالمدرسة العمريية ومن وظائفه أيضاً المشيخة بزاوية المنجكية بالرطوبة ، وبالخانقاه اليونسية ، وبالزاوية السيوفية ، ومن وظائفه نيابة النظر في الخانقاه اليونسية ووقفها ، والزاوية المنجكية بالرطوبة ووقفها ، والنظر على زاوية السيوفي ووقفها ، ووقف ذريته ، والنظر على مكتبة العلاء البخاري ، وفي سنة ٩٤٦ عرض عليه قاضي دمشق محمد باك الاصطنبولي خطابة الجامع الأموي فاعتذر لضعف بدنه . وفي سنة ٩٥٠ عقيب موت مفتي الخنفيه القطب

(١) الخانقاه اليونسية هي التي بسمها العامة في هذه الأيام بجامع الطاروسية ولها بابان أحدهما من البصة والثاني من طريق الصاحلية وانظر أيضاً كتابنا ثمار المقاصد (٢) انظر ثمار المقاصد (٣) وهناك مدارس اخرى ذكر ان له فيها (فقهة) وما أدري ما المراد بهذه الكلمة ولكل المراد بها انه كان مسجلاً في هذه المدارس كفتيه يطلب العلم وله شيء من وقفها . م (٤)

محمد بن الكمال الصالحى عرض عليه افتاء الحنفية فاعتذر وتعلل بتوالي الأوجاع^(١) وظل على تدريسه ووظائفه الى ان ادركه الأجل يوم الأحد حادي عشر أو ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ودفن بترتيمهم عند عمه الجمال بن طولون بالسفح قبلي الكيف والخورازمية، هكذا يقول النجم الغزي^(٢) في كتابه الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة وابن العماد في الشذرات وقد فتشت طويلاً بين القبور هناك فلم أعثر على قبره كما فتش عليه من قبلي السيد حسام الدين القدسي فلم يهتد اليه . ولم يعقب أحداً ولم يكن له زوجة حين مات رحمه الله .

تلاميذه وآثاره : قال النجم الغزي في الكواكب : أخذ عن ابن طولون جماعة من الأعيان وبرعوا في حال حياته كالشهاب الطيبي شيخ الوعاظ والمحدثين والعلاء بن العماد ، والنجم البهنسي خطيب دمشق ، وشيخ الاسلام اسماعيل النابلسي مفتي الشافعية والزين بن سلطان مفتي الحنفية ، والشمس العيناوي مفتي الشافعية الآن ، وشيخ الاسلام شهاب الدين الوفاي مفتي الحنابلة الآن ، وقريبة القاضي أكل الدين بن مفلح وغيرهم .

أما كتبه فأكثر من ان تعد هنا . قال ابن العماد في الشذرات كانت أوقاته معمورة بالتدريس والافادة والتأليف كتب بخطه كثيراً من الكتب وعلق ستين جزءاً وسماها بالتعليقات كل جزء منها مشتمل على مؤلفات كثيرة أكثرها من جمعه وبعضها لغيره ومنها كثير من تأليفات شيخه (أي بالاجازة) السيوطي . وقد أحصى في آخر ترجمته لنفسه كتبه وتآليفه وسردها بترتيب الحروف الابدئية وقد جاءت في نحو من ٢٣ صحيفة بالحرف الدقيق ذكرها أيضاً السيد جميل العظم في كتابه قلائد الجواهر فيمن لم خمسون تأليفاً فأكثر مع بعض تحريفات في اسمائها . وهذه المؤلفات في أغلب الظن رسائل لطيفة كالتى نشرها الآن

(١) انظر الفلك ص ٢٥

(٢) منها نسخة مخطوطة بالظاهرية وقد نشر الجزء الأول منه الأستاذ جيبور بيموت .

وقد نشر له منها ثلاث رسائل السيد حسام الدين القدمي منها رسالة « الفلك المشعرون في أحوال محمد بن طولون » في ٥٤ صحيفة ، ورسالة « الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية » في ٢٨ صحيفة ، ورسالة « المعزة فيما قيل في المزة » في ٢٦ صحيفة . وكثير من هذه الرسائل لطيف طريف في بحثه فلعل الزمن يتيح للعلماء نشر ذلك واليك أسماء بعض هذه الرسائل الطريفة مما له علاقة بهذه الرسالة او مما له خطر وشأن .

- رسالة: الأحاديث المروية في البساتين النيرية .
- : بهجة الأنام في فضل الشام .
- : التوجهات الست الى كف النساء عن قبر الست .
- : تفریح الهم في زيارة مغارة الدم .
- كتاب: القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية .
- : زهة الأفكار فيما قيل في دمشق من الأشعار .
- : زهة السامعين في المسلسل بالدمشقيين .
- : الذيل على طبقات الخنفية لعبد القادر القرشي في ٣ مجلدات .
- : الذيل على كتاب تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب .
- : الذيل على التوقيف في آداب التأليف .
- : فرائد الفوائد في احكام المساجد .
- : الهادي الى ترجمة شيخنا المحدث الجمال بن عبد الهادي .
- : الهجاج من أخبار الخلاج .
- رسالة: الامام بأمثال العوام .
- : اعلام الوري بمن ولي نائباً بدمشق الشام الكبرى .
- : الأحاديث المسموعة في دور انقران بدمشق وضواحيها .
- : في جوامع دمشق وضواحيها .
- : في احدى مدارس الخنفية أو الشافعية أو المالكية
- أو الخنابلة بدمشق وضواحيها .

- رسالة: البرق السامي في تعداد منازل الحاج الشامي .
- ≡ : تبيض القراطيس فيمن دفن بباب الفراديس .
- ≡ : تبليغ البشرى بأحداث داريا الكبرى .
- ≡ : جزء ذكر دور الحديث بدمشق .
- ≡ : الدر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام .
- دبوان شعري الأكبر وقد غسلته في مرض عرض اشرفت فيه على الموت ، ودبواني الأصغر وقد غيرت فيه كثيراً في دبواني الهالك
- ≡ : شرح أعلام الوري الأعلام بمن ولي قضاء الشام .
- ≡ : نهاية العبر في نفوذ القضاء والقدر بمدرسة شيخ الاسلام ابي عمر .
- ≡ : نهاية الاتعاظ وغاية الاعتبار فيما وجد على القبور من الأشعار .
- ≡ : النطق المبني عن ترجمة الشيخ المحيوي بن عربي^(١) .
- (١) الفوطة اسم مشتق من الغائط وهو المظمئن من الأرض . وجمعة غيطان وأغواط . وقال ياقوت بعد ذكره بيت حسان بن ثابت الأنصاري :
- يسقون من ورد البريص عليهم يردي يصفق بالرحيق السلسل
البريص اسم يطلق على الفوطة بأجمعها . وقال الأستاذ كرد علي : مساحة الفوطة ٤٠٦٠٠ هكتار أي نحو خمسة وستين ألف فدان والفدان ست دونمات وكسر والدونم مبذر مد من الحنطة . والفدان ٥٧١٣ متراً مربعاً ، والدونم ٩١٩ متراً مربعاً . انظر مجلة المجمع العلمي ١٠ / ص ١٥٨ .
- (٢) قال الأستاذ كرد علي : ذكر ابن طولون ان في الفوطة سبعين قرية وبعضها الآن دارس وقرى الفوطة اثنتان وأربعون قرية واهمها من حيث وفرة السكان دومة حاضرة الفوطة الشمالية وداريا حاضرة الفوطة الجنوبية . أقول أما القرى التي ذكرها ابن طولون في الرسالة التي نشرها فثان وستون لاسبعون كما يذكر الأستاذ كرد علي . وقد اندرست قرى رمزنا اليها في العدد الماضي بنجمة هكذا [*]
- (٣) قال الأستاذ كرد علي كانت قرب عرييل وقال ياقوت هي من قرى
- (١) هنا تبدأ التعليقات على الرسالة المنشورة في العدد الماضي ابتداء من ص ١٥٢ .

دمشق خرج منها احمد بن مكّي وقال Dussaud ص ٢٩٤ عنها وعن ارزة انها قد اندرستا ولا يعرف بالضبط موضعها . وانظر ياقوت ٢٠٨/١ .
 (٤) هكذا يياض بالأصل وفي الخزانة الشرقية للزيات ص ٢٣ : (ولي الآن بها بيت) وهو محرف ويقول (ولها حدود) بدل (ولها حكر) وهو تحريف أيضاً .
 (٥) البحدلية ويقال لها دير بجدل قال عنها Dussaud ص ٢٩٤ هي جنوب شرقي الشام وأما بيت رانس ويقال لها أيضاً بيت ارانس فانظر ما قال عنها ياقوت ص ٧٧٥ وانظر Dussaud ص ٢٩٥ .

(٦) في المخطوطة (بيت شحم) ويقول الأستاذ كرد علي [بيت سحم] بالسين وهي اليوم مشهورة بذلك .

(٧) قال ابن بطوطة : في شرق البلد [دمشق] قرب بيت إلهية وكان فيها كنيسة وهي الآن مسجد جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملون المنظمة بأعجب نظام وهي غير بيت لاهي التي بين انطاكية وحلب . انظر ياقوت فانه يقول عنها بيت لاهيا كذا بلفظ به والصحيح بيت الالهة . ويقول Dussaud ص ٢٩٥ ان موضعها بالضبط : شمال دمشق بين طريق برزة .

(٨) قال الامتاز كرد علي كانت موضع طاحون الأشنان في غرب دمشق تدخل فيها قرية النيرب .

(٩) رد على هذه الأقوال وعلى من قال ان سيدنا ابراهيم ولد فيها ياقوت في كلامه على - برزة - فارجع اليه وانظر ما كتبناه في كتاب ثمار المقاصد لابن عبد الهادي الذي نشرناه وانظر Dussaud ص ٢٩٦ .

(١٠) هكذا في الأصل ولم اهتمد الى المراد به فليحقق وفي الخزانة ص ٤٤ وادي الجوز
 (١١) برزة هي شرقي جبل الصالحية وحارة الأكراد اليوم ومنها يذهب الى وادي حلبون وزبددين وبعليك (انظر Dussaud ص ٢٨٦ وص ٢٩٦) . وبخصوص برزة انظر ما كتبه Lady Burton في كتابها [Enner life of Syria] chap.X. (١٠٣) يقول Dussaud ص ٢٩٤ : بالا : هي شرقي زبددين ما يزال

فيها بعض أعمدة وآثار هيكل المذبح . وانظر ما كتبه عنها : Souvire في

II , 159 , 238J . A. Descr . Damas

(١٣) لم أعتز على ذكر لهذه القرية فيما بين يدي من المصادر وفي الخزانة

ص ٤٤ برنابا [بالياء] .

(١٤) يقول Dussaud ص ٢٩٥ : هي شرقي جسرين وقد ذكرها Souvaire

في II , 265 Descr Damas .

(١٥) يقول Dussaud ص ٢٩٦ : هي غرب جسرين والنسبة اليها بسواني .

وقد ذكرها ياقوت ج ١ ص ٧٧٨ ، و LeSrtange في Palestine under the

Souvaire ، Muslims p. 205 في II 239 , Descr . Damas .

(١٦) يقول Dussaud ص ٣١٢ تل شعير هي شرقي صحيا ولا يزيد .

(١٧) لا يذكر هذه القرية وإنما يذكر تل الذهب قرب جسر الشفور

ص ١٦١ وتل الذهب قرب حماة ص ٢١٢

(١٨) يقول Dussaud ص ٣١٢ تل كردي بين عذرا وريحان .

(١٩) يريد بقوله «أهلها» [أهل الغوطة] . ويقول الأستاذ كرد علي : أصبح سكان

الغوطة على توالي السنين مسلمين من أهل السنة وليس بها لعهدنا سوى بضع

مئات من المسيحيين في داريا وعرييل وصحنايا والأشرفية وفيها مئات من المسلمين

الدروز في جرمانا وصحنايا الشرقية وكانت جميع أهل جوهر يهوداً الى ما بعد

القرون الوسطى وقد استغرب ابن طولون ان أهل جرمانا تيامنة وقال وهذا عجيب . . .

الخ . اما ياقوت فيذكر جرمانا ثم يذكر جرمانس ويقول ولعلها جرمانا . وانظر

ما قاله Dussaud ص ٢٩٩ .

(٢٠) يقول Dussaud ص ٢٩٩ جوهر شمال شرقي دمشق وفيها كنيس يؤمه

يهود دمشق وينقل عن Memoires D'Arvioux , 461 , II ؛ انها في زمنه

كانت كل سكانها يهوداً .

(٢١) يذكرها ياقوت ٢/٨٢ و Le Strange ص ٤٦٤ و Souvaire 1994.I.398

ويقول Dussaud ص ٢٩٩ هي شرقي بيت سوا وفيها بقايا آثار قديمة و كانت أرضها تنتج كثيراً من الخشب .

(٢٢) ذكرها Dussaud ص ٢٩٩ وقال هي غربي العتيبة . وأما وظيفة ثالث مقدمي الألو فاحدى وظائف الممالك ومقدمو الألو ف اربعة انظر ما كتبه عنهم دومومبين في كتابه سوريا في عهد الممالك , Gaudefroy - Demombynes , La Syrie à l'epoque des Mamlouks . Paris 1923

(٢٣) يذكرها Dussaud ص ٣٠٣ ويقول انها غربي بيت سوا .

(٢٤) يسميها الناس الآن حموري [بالف مماله نحو الكسرة Hammore] ويقول Dussaud هي شرقي دمشق وينبغي ان تكون هي قرية حمورية القديمة وفي الغالب أنها غير قصر الحميرة التي ستذكر فيما بعد . ونجد في النصوص القديمة ذكر قرية اسمها حمارة في المرج الشمالي ، وقد ذكرها ياقوت ٣٤٠/٢ و Le Strange ص ٤٤٨ و Souvair 1894,II,340,1,428

(٢٥) يذكر هذه القرية Dussaud ص ٣٠٤

(٢٦) يذكر ياقوت قربتين باسم حرستا (احدهما) مأهولة كثيرة السكان تبعد مرحلة عن دمشق وهي على طريق حمص أقول وهي التي تسمى اليوم حرستا البصل وهي التي سماها ابن طولون حرستا الزيتون . وهي التي حاول بعض المستشرقين ان يسميها قرية Carsatos القديمة التي كانت تبعد أربعة أميال عن دمشق والتي كان فيها كنيسة للقديس تيودوروس انظر الهامش رقم (٥) من ص ٣٠٢ في كتاب Dussaud . (والثانية) شرقي دمشق وهي المسماة بحرستا القنطرة وربما حرفها بعضهم الى حرستا المنطرة يقول Dussaud ص ٣٠٢ ان طابع كتاب ياقوت قد حرفها خطأ الى حرستا المنطرة . أقول وقد وجدت هذا الاسم هكذا في كتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد لابن عبد الهادي فقد كتبها بخطه حرستا المنطرة فلعلها تسمى بالاسمين . وهي اليوم مشهورة باسم القنطرة . ويذكر Dussaud ان سكان حرستا القنطرة وعقربا تر كوهما مرة حينما أغار الصليبيون على دمشق .

ص . اسعد طلس

(يتبع)

تاج الدين الكندي

هو تاج الدين أبو اليمين زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث ذي رعين الأصغر الكندي^(١) وهو الذي تنسب إليه المقصورة التاجية في الجامع الأموي بدمشق .

نسأتم : ولد سنة (٥٢٠) ببغداد . وتوفي سنة (٦١٣) بدمشق^(٢) فتكون مدة حياته (٩٣) سنة اتصل منذ بدء دراسته بأبي محمد سبط أبي منصور الخياط وكان مقرئاً لغويّاً نحويّاً حنبلي المذهب فتأثر الكندي بثقافة شيخه فكان مثله مقرئاً لغويّاً حنبليّاً وكان أصغر تلامذته وأنبههم وآخرهم قراءة عليه .
وتطور عقل تاج الدين بعد ذلك فترك المذهب الحنبلي الى المذهب الحنفي ولا نعلم العامل له على ذلك وفي أي سنة من سني حياته كان هذا التحول .
ولكننا نعلم انه في شبابه غادر بغداد معقل الحنابلة وأخذ عن علماء الشام وان آخر عهده ببغداد سنة (٥٦٣) فاستوطن مدينة حلب يتاجر بالخلع من الثياب فيبتاعها ويسافر الى بلاد الروم (الأناضول) ثم يعود الى حلب^(٣) فن الجائز ان يكون في هذا التاريخ امتزج بعلماء الروم الذين أكثرهم حنفيّة وان يكون تحوله الى المذهب الحنفي حول هذا التاريخ .

(١) معجم الأدباء طبع مصر [١١ - ١٧٢] وبغية الوعاة [٢٢٩] وفيها (زيد بن الحسن) مكررة ثلاثاً (٢) يتفق كل من ترجمه على وفاته في هذا العام إلا ما جاء في معجم الأدباء لياقوت من ان وفاته سنة [٥١٧] ولا شك في خطأ هذا النص خصوصاً وان اجازة الكندي بشرح معاني الآثار التي وقع في آخرها بيده كان تاريخها في سنة [٥٩٨] ومن الغريب أن يشير لياقوت اليه في عدة مواضع في معجبيه بقوله : شيخنا ولا يشير الى ذلك في ترجمته ويضبط في تاريخ وفاته مم ان الراجح ان اجتماع لياقوت بالتاج الكندي كان بعد سنة [٥٩٧] وهذا ما جعلنا نرجح بأن تدليساً ونقصاً وقماني النسخة الخطية التي طبع عنها معجم الأدباء في ترجمة الكندي (٣) ابن خلكان [١ - ٢١٥] وانباء الرواة للقفطي راجع [١١ - ١٧١] معجم الأدباء لياقوت طبع مصر .

سبوه في علم القراءات : اعتنى به شيخه سبط الخياط عناية فائقة لشدة ذكائه وصغر سنه فحفظه القرآن الكريم ثم أقرأه بكل ما قرأ به على شيوخه من علم القراءات ككتب أبي العز القلانسي ، والكامل للهدلي ، والاتضح والايضاح والوجيز والاقناع الأربعة للاهوازي وغير ذلك من الكتب ولم يكتف في تلقينه ما عنده من علم ورواية بل جهزه الى أبي القاسم هبة الله بن الطبر فقرأ عليه ست روايات أخرى ثم جهزه الى أبي منصور بن خيرون وأبي بكر خطيب الموصل وأبي الفضل بن المهدي فقرأ عليه بالروايات الكثيرة فكان قارئاً من الطراز الأول ويذكرون من شدة ذكائه وقوة حافظته انه حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين وجمع الروايات العشر وهو ابن عشر ويعتبره ابن الجزري وغيره بأنه اعلا اهل عصره اسناداً في القراءات والحديث لأنه عاش ثلاثاً وثمانين عاماً بعد أن جمع القراءات (١) .

سبوه في الحديث : روى علم الحديث عن ابن ناصر وابن السمرقندي والنامطي وسعد الخير ومحمد بن عبد الباقي الانصاري وأبي منصور القزاز وغيرهم (٢) .

سبوه في الأدب والعربية : معظم مشايخه في اللغة العربية من أساتذة المدرسة النظامية كأبي منصور الجواليقي وأبي السعادات ابن الشجري وابن الخشاب فقرأ عليهم كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد والحجة لأبي علي الفارسي وأمثال هذه الكتب (٣) .

اشتغاله بالتجارة : كان شديد الاعتداد بنفسه ، والاعتماد على جده فلم يسلك مسلك الفقهاء والعلماء في ميلهم للوظائف بل كان يشتغل بالتجارة واتخذ مدينة حلب مركزاً له كما مر (٤) ولذلك لا نجد له ذكراً في أسماء القضاة والكتاب والمدرسين أرباب الوظائف في المدارس .

(١) ذيل الروضتين لأبي شامة نسخة مصورة بالمجمع العلمي بدمشق واية النهاية [٢٩٧-١]

وتتبعه الطالب مخطوط وشذرات الذهب [٥ - ٥٤] وبنية الوفاة [٢٤٩]

(٢) و (٣) المصادر السابقة (٤) إنباء الرواة بأخبار النحاة للقفطي [في تعليقات

معجم الأدباء لياقوت طبع مصر ١٥٠ - ١٧١] وابن خلكان ١ - ٢٤٥ .

اتصال بالملوك الأيوبيين : دخل مترجمنا دمشق فمصر واقنتى عدداً من الكتب القيمة التي يبعث من خزائن الفاطميين^(١) واتصل بالقاضي الفاضل فكان يتردد لزيارته في داره . وصدق أن زار عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه^(٢) ابن أيوب القاضي الفاضل في داره بجزى ذكر بيت من شعر ابي الطيب المتنبى وكان تاج الدين حاضراً فشرح البيت شرحاً أعجب به فرخشاه فسأل القاضي عنه فأجاب بأنه العلامة تاج الدين الكندي فنهض فرخشاه وقبض على يد تاج الدين وخرج به الى منزله ودام اتصاله به^(٣) ومن هذا الوقت أصبح تاج الدين أستاذ الملوك الأيوبيين فقرأ عليه عز الدين فرخشاه وابنه الأديب الشاعر الملك الأجد صاحب بعلبك . والملك الأفضل ملك دمشق وأخوه الملك الحسن وهذان ابنا صلاح الدين . وعالم ملوك بني أيوب وفاضلهم المعظم عيسى ملك دمشق وفلسطين كان ينزل من قصره في قلعة دمشق يتأبط كتابه كالطلبة فيأتي دار أستاذه الكندي في درب العجمي في جيرون (اليوم حارة النوفرة شرقي باب الجامع الأموي الشرقي) وربما تأخر الدرس الذي يتقدم درسه فينتظر الى أن تأتي نوبته . وقد قرأ عليه المفضل للزمخشري والايضاح لأبي علي الفارسي ، وكتاب سيبويه وشرحه لابن درستويه وديوان الحماسة وأمثال هذه الكتب^(٤) .

(١) ابناء الرواة ، وابن خلكان .

(٢) شاهنشاه هو اخو صلاح الدين الأيوبي استشهد سنة (٥٤٣) حينما حاصر الافرنج دمشق وهو جد ملوك حماة وبعلبك الأيوبيين . أما ولده عز الدين فرخشاه فهو أول ملوك بعلبك وكان عمه صلاح الدين يجعله نائباً عنه على دمشق حين يغيب عنها ويقول صاحب الشذرات عنه : كان ذا معروف وير وتواضع وأدب وكان للتاج الكندي به اختصاص توفي بدمشق سنة (٥٧٨) ودفن في قبته التي بمدرسته المطلة على الميدان في الشرف الشمالي — ولا تزال القبة موجودة حتى الآن غربي مدرسة التجهيز الأولى المطلة على المرجة — وله شرح حسن منه :

إذا شئت أن تمطي الأمور حقوقها وتوقع حكم العدل أحسن موقفه

فلا تصنع للمروف مع غير أهله فظلمك وضع الذي في غير موضعه

(٣) ذيل الروضتين لأبي شامة . (٤) ذيل الروضتين .

تلازمته : لا نكون من المغالين اذا قلنا انه كان أكثر علماء عصره تلامذة وطلاباً . ومن يتبع تراجم أهل عصره ومن بعده يجد ان أكثر العلماء والأدباء والشعراء والرواة والمحدثين ينتسبون الى التلمذة عليه ويجد أكثر الأسانيد نجية عن طريقه . ويقول ابو شامة عن درب العجمي الذي كانت فيه دار التاج الكندي : فكم ازدحم في ذلك الدرب من شيوخ العلم وطلبته ، اولاد الملوك وخدمته ، ومتى ما أريد اعتبار ذلك فليُنظر في الكتب التي عليها طبقات السماع عليه ، ليعلم جلالة من كان يتردد اليه ^(١) فممن اخذ عنه ياقوت الحموي صاحب معجمي الأدبا والبلدان ، وعمر بن احمد الشهير بابن العديم ، وسبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان ورضوان بن محمد بن رستم الساعاتي وعبد الرحمن المسجف الشاعران وابن معطي النحوي صاحب الألفية ولو أردنا استقصاء من اخذ عنه من علماء وأدباء وشعراء وحكماء واطباء ومحدثين ومحدثات وقراء ونحاة لبلغ عددهم المآت .

ومن حسن الصدق اننا وقفنا على المجلدة الرابعة من شرح معاني الآثار وعليها طبقات سماع بعد أن قرئت عليه في المقصورة التاجية وسنشر نصها في العدد الآتي من هذه المجلدة .

مميزاته العلمية : امتاز باللغة العربية وعلم الأدب في الدرجة الأولى فتخرج به عدد كبير من أدباء الشام ومصر والعراق . والظاهر ان علم العربية لم يبلغ في الشام الدرجة التي كان عليها ببغداد الا بواسطة الكندي . وكأنه نقل طريقة المدرسة النظامية في علم العربية الى الشام . ويقول ابو الحسن السخاوي في شرح المفصل : لقيت جماعة من أهل العربية منهم الشيخ الفاضل ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي وكان عنده في هذا الشأن ما لم يكن عند غيره واخذت عنه كتاب سيبويه وقرأت عليه كتاب الايضاح لأبي علي مستشرحاً وأخذت

(١) ذيل الروضتين

عنه كتاب اللمع لأبي الفتح . وكان واسع الرواية ومن العجب ان سيديويه اسمه عمرو والكندي اسمه زيد فقلت في ذلك :

لم يكن في عصر عمرو مثله وكذا الكندي في آخر عصر
فهما زيد وعمرو انما بني النحو على زيد وعمرو^(١)

أما مميزاته في الدرجة الثانية فهي علما القراءات والحديث قصده الطلاب من أنحاء العالم الاسلامي لعلو اسناده فيها . قال الحافظ الذهبي : كان أعلا أهل الأرض اسناداً في القراءات . فاني لا أعلم أحداً من الأئمة عاش بعد ما قرأ القراءات ثلاثاً وثمانين سنة غيره . . . ثم انه سمع الحديث على الكبار وبقي مسند الزمان في القراءات والحديث^(٢) .

أضيقه : لئن وصفه تلامذته واصدقاؤه بدمائة الأخلاق وحسن العشرة^(٣) فقد وصفه بعض معاصريه بسوء المعاشرة وشراسة النفس . وبالحقيقة كان حسن المعاشرة لجماعته وأصدقائه وشديداً قاسياً على الصلفين المتعاضمين من أقرانه ومنافسيه . وبديهي ان من نال منزلة مثل منزلته وحظوة عند الملوك مثل حظوته ان لا يترك غيره في مجلسه يرتع في صلفه ، ويزهو في تعاظمه وكبريائه . فبعد اللطيف البغدادي المعجب بنفسه ، والمنتقص لأكثر علماء عصره اجتمع به فلم يجد لنفسه مرتعاً خصباً في مجلسه فيقول عنه : اجتمعت بالكندي البغدادي النحوي^(٤) وكان شيئاً بهيباً ذكياً مثرياً له جانب من السلطان لكنه كان معجباً بنفسه مؤذياً جليسه وجري بيننا مباحثات فأظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة . ثم اني اهملت جانبه فكان يتأذى باهمالي له اكثر مما يتأذى الناس منه^(٥) ونرى التاج الكندي يحترق عبد اللطيف البغدادي فيلقبه بالجددي المتلحي^(٦) .

(١) ذيل الروضتين (٢) النجوم الزاهرة ٦ : ٢١٧ (٣) ذيل الروضتين . البداية والنهاية ٣ - ٧٣ . الصفدي في الوافي بواقعة تبيينه الطالب مخطوط بنية الوفاة للسيوطي . (٤) اجتماعه به كان في دمشق (٥) عيون الأنبا ٢ - ٢٠٤ (٦) فوات الوفيات ٣ - ٨

ونجد القاضي جمال الدين القفطي - وهو قد نال في حلب حظوة عند ملكها لا تقل عن حظوة الكندي عند ملك دمشق وعنده من الاعجاب بنفسه ما عند الكندي - حينما يترجم الكندي يقول عنه: كان لينا في الرواية معجبا بنفسه فيما يذكره ويرويه ويقوله . واذا نوظر جبهه بالقبيح واستطال بغير الحقيقة ولم يكن موثوق القلم فيما يسطره (١) .

وجرت له مهاترة مع ابن دحية الكلبي لما دخل دمشق سنة (٦٠٥) فقد جمعها مجلس عند الوزير الصفي بن شكر فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى الى قول ابراهيم عليه السلام (انا كنت خليلاً من وراء وراء) بفتح اللفظتين فقال الكندي وراء وراء بضمها فقال ابن دحية للوزير ابن شكر من هذا؟ فقال هذا ابو اليمن الكندي . فقال منه ابن دحية وكان جريئاً . فقال الكندي: هو من؟ كلب ينجح (٢) أنت تكذب في نسبك الى دحية الكلبي ودحية باجماع المحدثين ما عقب وقد قال فيك ابن عنين:

دحية لم يعقب فلم تنتمي اليه بالبهتان والأفك

ماصح عند الناس فيه سوى انك من كلب بلا شك (٣)

ثم الف ابن دحية كتاباً سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي والف الكندي كتاباً سماه: نف اللحية من ابن دحية (٤)

وحكي عن الشيخ تاج الدين الكندي انه قال أحلت على ديوان حمزة برزق فسرت اليها لأجل ذلك فلما حللتها جمع الجماعة بيني وبين ابن ظفر (٥) وجرت بيننا مناظرة في النحو واللغة فأوردت عليه مسائل في النحو فلم يمش فيها وكان حاله في اللغة قريباً فلما كاد المجلس يتقوض قال ابن ظفر: الشيخ تاج الدين أعلم مني بالنحو وأنا أعلم منه باللغة . فقلت الأول مسلم والثاني ممنوع وتفرقتنا (٦)

(١) انباء الرواة (٢) البداية والنهاية ١٣ - ٥١ (٣) شذرات ٥ - ١٦٠

(٤) معجم الأدباء ١١ - ٢٧٥ (٥) هو محمد بن ظفر الصقلي صاحب التأليف

المتمة منها كتاب سلوان المطاع توفي سنة [٥٦٥] تراجم ترجمته في ابن خلكان [١ : ٦٦٠]

(٦) المصدر نفسه .

مؤلفاه : قليل من العلماء الذين يجتمع لهم حظ التأليف مع حظ كثرة الطلاب والتدريس . لأن التدريس يتطلب الشهرة والاختلاط بالناس . والتأليف يتطلب الهدوء والسكينة والابتعاد عن الناس وشيخنا الكندي - وهو قد نال جاهاً عظيماً عند الملوك والأعيان وصار له المال الوفير والمالِك العديدة الذين أعنتهم ورفدهم بعلمه وماله - غير مدفوع عن التأليف والتصنيف ولكن لم يكن له متسع لذلك بعد ان كرس وقته للإفادة والتدريس وخلف مئات من تلامذته الذين أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء والأدباء والمؤرخين والقراء والمحدثين . وقد ذكر ياقوت في معجمه ان مؤلفاته هي : تعليقات على ديوان المتنبي ، وأخرى على خطب ابن نباتة ، وكتاب ننف اللحية من ابن دحية رد فيه على ابن دحية في كتابه الذي سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي ، وكتاب في الفرق بين قول القائل : طلقك ان دخلت الدار وبين ان دخلت الدار طلقك الفه جواباً لسؤال ورد عليه ، وله غير ذلك ويتضح مما ذكر ان تأليفه هي أشبه بالتعليقات والمقالات منها بالكتب الكبيرة .

مؤاليه : كان الكندي كثير الاحسان الى الموالي والرفيق فقد اشترى عدداً منهم ورباهم أحسن تربية وأعتقهم منهم « النجيب ابو الدر ياقوت » سمي صاحب معجمي البلدان والأدباء ومعاصره . ويقول عنه ابن كثير : كان لديه فضيلة وأدب شعر جيد وتوفي في بغداد سنة (٦٢٣)^(١) وورد اسمه فيمن كان يسمع على الكندي في المقصورة التاجية .

ومن مؤاليه وتلميذاته « ست العرب » روى عنها شيخ الاسلام ابن تيمية في الأربعين التي رواها عن أربعين من كبار مشيخته رجالاً ونساء قال : أخبرتنا الشيخة الصالحة أم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز بن عبد الله الكندية قراءة عليها وأنا اسمع في رمضان سنة (٦٨١)^(٢) وترجمها صاحب الشذرات بقوله : ست العرب بنت يحيى بن قايماز أم الخير الدمشقية الكندية سمعت من مولاها تاج الكندي وحضرت على ابن طبرزد الفيلاينات توفيت في المحرم عن خمس وثمانين سنة (٦٨٤)^(٣)

(١) راجع تاريخ ابن كثير ١٣ - ١٦ ومجلة المجمع ص ١٢٩ من هذه السنة (٢) الاربعين المذكورة [المطبعة السلفية بصره سنة ١٣٦١] ص ٣٦ (٣) شذرات الذهب ٦ - ٣٨٥

شعره : وللشيخ تاج الدين كثير من الشعر المبتوث في مطاوي الكتب .
منه قوله في الربوة أعظم متزهات دمشق لما جدد بناءها نور الدين محمود بن زنكي
وجعل الأكل والنوم فيها مجاناً :

ان نور الدين لما أن رأى في البساتين قصور الأغنياء
عمر الربوة قصرًا شاهقًا تزهة مطلقه للفقراء (١)
وكتب الى صديقه مهذب الدين ابي طالب محمد المعروف بابن الخيمي :
أيها صاحب المحافظ قد حملتنا من وفاء عهدك دينا
نحن بالشام رهن شوق اليكم هل لديكم بمصر شوق الينا
قد غلبنا بما حرمنا عليكم وغلبنم بما رزقتم علينا
فعجزنا عن ان ترونا لديكم وعجزتم عن أن نراكم لدينا
حفظ الله عهد من حفظ العهد وأوفى به كما قد وفينا (٢)
ومن شعره فيما رواه عنه الرشيد العطار :

أرى المرء يهوى أن تطول حياته وفي طولها ارهاق ذل وازهاق
تمنيت في شرح الشبية اني أعمر والأعمار لا شك ارزاق
فلما أتاني ما تمنيت ساءني من العمر ما قد كنت أهوى وأشتاق
عرتني أعراض شديد مراسها علي وهم ليس لي فيه اغراق
وها أنا في احدى وتسعين حجة لها في ارعاد مخوف وابراق (٣)

وفاته : توفي سنة (٦١٣) ودفن بسفح قاسيون وبني عليه قبة وجعلت
له تربة وقد ترجم لها النعمي في تنبيه الطالب وكذا العلموي والبقاعي (بالتربة
التاجية) وذكروا انها بالصالحية في سفح قاسيون . أما في عصرنا فهي مجهولة لدينا .

محمد احمد دهمان

www.alukah.net

(١) تزهة الأناضول للبدر ص ٨٤ (٢) وفيات الأعيان ١-١٢٦ (٣) المصدر نفسه
وانباء الرواة للتفطي في تعليقات معجم الأدباء ١١-١٧٤ (٤) معجم الأدباء لياقوت ١١-١٧٤

مخطوطات ومطبوعات شروع سقط الزند (قسمها الأول)

كنت قلت في بعض ما كتبتة عن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري (أرأيت السيل بعد مضيئه وانقطاع مدده كيف يترك وراءه ربعا ممرعا للمتجمعين ومزولا كريما للمجدبين . كذلك مهرجان أبي العلاء فإنه ترك بعد انقضائه آثارا لأبي العلاء وفي أبي العلاء لا تحصى فوائدها ولا تنفذ فرائدها) وقد كانت أنشط العاملين في ابراز تلك الآثار العلائية وزارة المعارف المصرية فإنها ألفت لجنة دعيتها (لجنة إحياء آثار أبي العلاء) عكفت على جمع اخباره ونشر ما انطوى من مختلف آثاره . وعزمت على إصدار تلك الأخبار والآثار اسفارا متسلسلة فكان السفر الأول هو الذي سمته (تعريف القدماء بأبي العلاء) وضمنته النصوص المتعلقة بتراجم أبي العلاء وأخباره الخاصة ، وطبعته ونشرته سنة ١٩٤٤م أي خلال أيام المهرجان وقد قرظناه في مجلة المجمع (مجلد ١٩ ص ٥٤٥) وها هي ذي اللجنة اليوم تهدي الينا السفر الثاني من تلك السلسلة المطبوع سنة ١٩٤٥م (قسمها الأول) وسيتلوه بالطبع ثلاثة الأقسام الأخرى وقد ضمنت هذه الأقسام الأربعة شروحا ثلاثة لأشعار أبي العلاء المسماة (سقط الزند) واقتصرت اللجنة من شروحه الثانية المشهورة على نشر هذه الشروح الثلاثة وهي : (١) شرح التبريزي (أبي زكريا يحيى بن علي تلميذ المعري ٤٢١ - ٥٠٢) و (٢) شرح البطلوموي (أبي محمد عبد الله بن السيد ٤٤٤ - ٥٢١) و (٣) شرح الخوارزمي (أبي الفضل قاسم بن حسين ٥٥٥ - ٦١٧) وإنما اقتصرت اللجنة على الثلاثة من الثانية لأن ثلاثة منها مفقودة لم تظفر اللجنة بها . وواحدا منها (وهو الشرح الذي صنفه أبو العلاء نفسه) مختصر مدمج في شرح تلميذه التبريزي . والواحد الباقي وهو شرح التنوير استعني عنه لأن مؤلفه أبا يعقوب الخواري (تناول شرح التبريزي بالتهذيب والتنقيح وسار معه في كثير من المواضع على نهج واحد حتى أنه نقل كثيرا من عباراته كما هي ولهذا التقارب والتشابه ولأنه طبع قبل اليوم عدة طبعات ضربت

اللجنة صفحاً عن نشره) وقد افتتحت اللجنة هذا القسم الأول الذي أصدرته (بتقديم) استوعبت فيه جميع ما ينبغي ان يقال في هذا المقام من وصف الشروح الثانية التي وصل اليها علمها ثم وصف الثلاثة التي نشرتها وتراجم أصحابها وطبع نموذجات من مخطوطاتها وغير ذلك من الملاحظات التي فيها متعة للقاري وهداية للحريص . وقد سلكت في طبع الشروح الثلاثة طريقة بكرة تسهل على القاري فهم ما يقرأ من أشعار سقط الزند . ذلك انما تذكر البيت من القصيدة وتذكر ما قاله التبريزي في شرحه عليه أولاً وتعقبه بما قاله البطلومي ثانياً ثم الخوارزمي ثالثاً ثم تعود الى البيت الثاني من القصيدة نفسها فتذكر ما قاله الثلاثة بحسب ترتيبهم السابق . حتى تمّ للجنة اربع عشرة قصيدة من أشعار السقط مطبوعة على ورق جيد طبعاً حسناً في مطبعة دار الكتب المصرية . وقد ضبط بعض الكلمات بالشكل وخصّ بعض المواضع المغلقة بالشرح . فجاء هذا القسم من السفر في ٤٧٠ صفحة كبيرة ليس بعد ما فيها من الاثقان استزادة لمستزيد . ثم ان قول اللجنة في المقدمة بصدد الشروح الثانية التي وصفتها : (ولست هي كل الشروح التي تصدّت لسقط الزند ولكنها مبلغ ما وصل علمنا اليه . وأمكنا استخلاصه من التاريخ) — قولها هذا يفسح لي المجال لذكر الشرح المخطوط الذي في مكتبي وأرجح انه المخطوط الوحيد لهذا الشرح واسمه (سقط العقيان والحلي لعروس ديوان ابي العلاء) أو (ضوء الفند من سقط الزند) والشارح هو العلامة الشيخ محمد ابن نور الدين الدرّاء الدمشقي المتوفى سنة ١٠٦٥ هـ ونسخ المخطوطة كان بعد وفاة المؤلف بثلاثين سنة . وقد ترجم المحي للمؤلف في تاريخه خلاصة الأثر (جزء ٤ ص ٢٤٩) ووصفنا نحن هذا المخطوط وصفاً مسهباً في كلمة لنا منشورة في الكتاب الذي أصدره مجمعنا العلمي وسماه (المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري) ص ٢٧٠ ولعل (لجنة إحياء آثار ابي العلاء) اطّلت على كتابتنا في وصف هذا الشرح وأضافت اسمه الى الشروح التي أحصتها . وهي لعمرى جديرة بال شكر والثناء على ما تبذله من العناية وعظيم الجهد في تتبع هذه الآثار . وإصدار هذه الأسفار .

المغربي

من وصي المرأة

للشاعر المصري عبد الرحمن صدقي

ديوان صغير الحجم في ٦٠ صفحة يشتمل على نيف وثلاثين قطعة من الشعر بين قصيدة ومقطوعة . كله في رثاء امرأة الشاعر ماري التي نذر لها التأبد بعدها وفاء لها ورعاية لماضي صحبتها . فقضى غير مشفق على نفسه بالتبتل وقلبه بألا يخفق لربة دل أو تطمع باصطياده ذات حسن أو غنج وقد شاء ان يكون هذا بهود أخذها على نفسه وسجلها في ختام بعض قصائده فمنها قوله :

سأحيا كيت لم يغيب بلحده يظلني ليل من المم مظلم
وأضرب في صحراوي في غير غاية الى ان يوافيني القضاء المحتم
وقوله: أجل كان لي قلب وزوج حبيبة فلما قضت زوجي قضيت على قلبي
= وهأنذا ان طال بي العمر صائر لشينوخة حسرى بغير معان

ولا يخفى ان هذا النوع من الوفاء بالاعراض عن النساء جملة ان حسن عند بعض فلا يعدو أنه ضرب من ضرور تعذيب النفس وشيء من العقوبة لها على ما ليس لها فيه جريرة أو ذنب . كما انه لا يخلو من تأديب لها وتهذيب على ما فرط من اندفاعها وشدة استرسالها في التعلق بما لا ضمان ببقائه .

ولهذا او لما هو اشد منه ظهوراً أو توارباً من الاحتفاظ بالرجولة تامة والجري في طاعة نخوة الفحولة كاملة والحذر من الصيرورة الى ما قد يفضي الى الخور رغب العرب الا القليل منهم عن الجهر بيكاه المرأة زوجة وذهبوا بأنفسهم صعداً عن رثائها حليلة .

فمن بعض الأدلة على هذا ان الفرزدق لما ماتت زوجته النوار وامتنع عليه الشعر فيما زعموا في رثائها لعنجهيته وجفائه لم يجد بداً وقد حز به الأمر وزعزعت من أركانه الفاجعة من أن يركب أحد حدي شر اما اكراه طبعه على شعر ييكها به واما التمثل من قصيدة أعدى أعدائه جرير في رثاء خالدة أم أولاد

جرير بما ينفس من كربه وبذهب بعض الشيء، بجزئه وسرعات ما ركب
أهون الشرين وفضل أيسر الخطبين وما هو أقل زبلاً من نخوته وكسراً لانفته
فتمثل بملء فيه :

لولا الحياء لهاجني استعمار ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولَّهت قلبي إذ علتني كبرة وذو القاتم من بنيك صغار
ولقد أراك كسيت أجمل منظر ومع الجمال سكينته ووقار
لا يلبث القرناء ان يفرقوا ليل بكر عليهم ونهار

الى آخر ما تمثل به ولو وجد الفرزدق في شعر غير جرير ما يترجم عن لوعته
ويبرد شيئاً من غلته لفزع اليه ولجعل معرجه عليه ولكن متحاه بعيداً عن
قصيدة ثلاثة أرباعها في هجائه .

وان في قول جرير لولا الحياء لدليلاً كل الدليل على ما وقر في نفس العربي
من العزة عن بكاء المرأة ورثائها حتى عن زيارة قبرها ولا غرو فقد كان هذا
من العرب وما هو أشد منه حين كان عهدهم بالبدوة قريباً ونفوسهم على ما تأصل
فيها من قسوة وامتناع وصعوبة انقياد الى ما توجهه الحضارة من دماثة ولين .
على انه لن يحسن بنا في حال ان ننسى ان الناس مهما بلغت في بعضهم صلابه
الاكباد وقسوة الأفتدة الا الجبايرة العتاة من المتمردين على ذلة العشق وهوان
الهوى وضراعة الحب ، مدينون لهذا الفزيق من الشعراء حملة الاكباد المقرحة
والقلوب المتصدعة والأحشاء الكليمة والترائب الملتهبة يذكرون الناس كلما نسي
الناس برفائق الاعراب وحرقت أهل الحضرة وذوي اللوعات الصادقة الوفية منهم .
وأني لا يكون الباس مدينين لهم وقد عمدوا الى افئدتهم واكبادهم ونفوسهم
وأرواحهم فصهروها في بوتقة الألم على لهب التوجع والتفجع ثم صكبوها دمواتاً
وأرسلوا النموع شعراً تركوه وفقاً على كل ثا كل بمثل ما نكلوا يبكي بها
متى شاء كما يشاء . اذ ليس في طوق أحد أن يعبر أو يستعير عيناً يبكي بها .
من ذا يعبرك عينه تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تعار

ولكن في استطاعة أي انسان ان يعتمد الى هذا النوع من الدموع المسكوبة شعراً يعوذ به بقدر ما ينقع من غلته كما فعل الفرزدق وهو ما هو شاعرية وترفعاً وكبرياء وقد تخلل الديوان رسائل ثلاث الى صاحبه من الأساتذة الأدياء توفيق الحكيم وعباس محمود العقاد وعزيز أباظة فيها من الثناء على ما وفق اليه الشاعر في تصوير آلامه وهول فجيئته وارسال لوعته ما يشير الى الصدى وبعد المدى الذي أحدثته بين الأدياء قصائد (من وحي المرأة) أيام نشرها متفرقة في الرسالة والثقافة وذلك مما يغبط عليه الشاعر وبيناً .

فالديوان يحملته آية من آيات حفاظ عهد المرأة وازماع الإقامة على مودتها بعد الموت فلما يعثر على مثله في مختلف الأعصار والأمصاّر وسينبقى مع أمثاله مفزعة لكل من تعمد الدهر فجيئتهم بجلائلهم الغاليات . فهو يوشك أن يكون ثالث ثلاثة لشعر متم بن نويرة في أخيه مالك وديوان الخنساء في أخيها صخر وما يستوقف نظر القاري في (من وحي المرأة) غير حرارة التعبير عن العاطفة الحائرة والحسرة المتأججة والحرقه الغالبة هو تلك القوة التي أرادها الشاعر ارادة وعمد اليها عمداً حين خشي ان يقوده الضعف عن احتمال الكارثة الى الضعف في حوك الشعر ونسجه فكان حريصاً كل الحريص على ألا يطلع به على الناس إلا مزوداً بنصيبه من الجزالة وحظه من القوة التي كانت تسير الشاعر في أكثر خطواته وهو ينظم ديوانه حتى لقد انتهت به الى النجوة من أكثر ما يتعرض له معالجو شؤون المرأة وما تقتضيه من سعي وراء الرقة والنعمه مما قد يكون مدرجة الى اللين ومنجدرأ الى الركة .

فن الأدلة على ارادته هذه من تجنب الضعف ولياذه بكنف الجزالة انه لزم البحر الطويل بحر القوة ومعرض الفخامة والفعولة في كل الديوان فلم يخرج عنه الا في قصيدة واحده هي لوعته الأولى (أنة الزوج الثاقل) في عنفوان الصدمة قبل التفكير . كما أنه مما يثب عن الشك ولو الى قليل من اليقين ان كثيراً من عواطف الشاعر أو ما يجب أن يكون من العواطف قد حجبته ارادة

القوة هذه أو حالت دونه فبقي متغفلاً في جوانح الشاعر معتصماً بين الصلب والترائب بأبي ان يزحزح الا الى مطأناً من رقة اللفظ ونعومة مس الوزن فهو جاد في استثارته بما يقذف به الى الصحف من القصائد وان كان مقياً على وفائه للبحر الطويل .

وأما احتشاد الشاعر وحفاوته بأن تكون لغة الديوان سليمة تدل على ما انتهى اليه حذقه اللغوي وتخرجه من الوقوع فيما لا يرضي العربية والساهرين لها وعليها فهو ظاهرة من ظواهر الديوان ملموسة تلازم القاري ملازمة تحول بينه وبين ان ينصرف عنها أو يتلهم بسواها . هذا وان كان هناك الفاظ ادعى اليها الاسراع في اخراج الديوان على ما قذفته القرية لما يقتضيه التنقيح والتهذيب مما لم يخل من مثله ديوان أو كتاب ولو لا ذلك لكان للشاعر عنها مندوحة واسعة ومسترد رحب . فمن تلك الألفاظ على قلتها (بضعة) في قوله في صدر الديوان :

فأمسيت منى في صحيفة أخبار وبضعة أشعار وصورة تذكاري

وفي الديوان ما يربني على الثلاثين و (الموصد) اري بابك المطروق امسى موصداً و (المحتم) . الى ان يوافيني القضاء المحتم . وحتمّ والمحتم وتحمّ بنتها قلما كتبت النجاة منها لكاتب أو شاعر اليوم على انه ان صح ما يدعو اليه بعض أهل اللغة من ان وجود تفعل اللزوم المطاوع لفعل المشدد دليل على وجود فعل هذا وصح ما حكاه الفيومي في المصباح وهو قوله (انحتم وتحمّ الأمر وجب وجوباً لا يمكن اسقاطه) فهي حينئذ صحيحة : ولكن قوله صاحب المصباح هذه حكاية انفرد بها ولم يعزها الى أحد وليس أحد من شراح الحديث يشاركه بروايتها والظن كل الظن انها عن اخوانه الفقهاء ذكرها غفلة أو عصبية لم فهي بلفظها وتفسيرها من بضاعتهم وتعابيرهم وعليها طابعهم معدودة على الفيومي في جملة ما انفرد به في مصباحه مما يجب ان يفرد له كلمة فيما سها ذوو المعجمات فأثبتوه ذهولاً عما اخذوه على أنفسهم من عدم الخروج عن أمانة النقل .

محمد البرزم

هزري برجسون : منبع الأضواء والدين

تعمير سامي الدرهبى وعبد الله الدائم ، طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

عدد صفحاها ٢٨٥ من القطع الوسط

كان المترجمون المعاصرون لا يحرصون اختيار الكتب التي يترجمونها ، فينقلون الى اللغة العربية كتباً سهلة لا تليق مطالعتها الا للجمهور القراء من غير الاختصاصيين . فكان القاري العربي يظن مثلاً ان أعظم فيلسوف اجتماعي فرنسي هو (غوستاف لوبون) لأن احمد فتحي زغلول وغيره قد ترجموا بعض كتبه ، مع ان (غوستاف لوبون) ليس من علماء الطبقة الأولى . وما أورده في علم الاجتماع والتربية كثير الشكوك . واذا أخذ علم الاجتماع عن (غوستاف لوبون) دون ان يرجع الى ما جاء به (دور كهايم) و (لني برول) لم يوصل به الى الكمال . والسبب في ميل المترجمين الى اختيار الكتب السهلة يرجع الى خوفهم من التعب ، او الى عجزهم عن تفهم كتب الاختصاص ، أو الى رغبتهم في الربح المادي والشهرة السريعة . لذلك بقيت كتب لوك وليبنيز وهييجل و كنت وشوبنهاور وبرجسون مجهولة عندنا . وما نقل الى اللغة العربية من مذاهب هؤلاء الفلاسفة ، خال من الصفة العلمية الحقيقية . حتى ان كبار المترجمين الذين نقلوا بعض كتب أرسطو الى اللغة العربية لم ينقلوها عن اليونانية بل عن الفرنسية . أما السيدان سامي الدرهبى وعبد الله الدائم فقد أحسنا الاختيار ونقلنا كتاب منبهي الأخلاق والدين الى اللغة العربية بكل أمانة علمية . ومع ان بعض عبارات ترجمتها لا تخلو من النعوض ، فانها لم يخرجنا بالجملة عن الأصل . حتى لقد أدت رغبتها في المحافظة على الأصل الى ضياع قسم كبير من سخر الاسلوب البرجسوني . وقد صدرا الكتاب بمقدمة عامة مشتملة على مذهب (برجسون) في الابداع والديمومة ووثبة الحياة . وذكرنا كيف انتهت الفلسفة البرجسونية الى البحث في

الأخلاق ، وكيف أتم هذا الكتاب الجديد مذهب برغسون في الخلق الدائم والزمان والتطور . فقد فرق فيلسوف الحدس في كتاب الزمان والحربة بين المكان والزمان ، وفي كتاب المادة والذاكرة بين الادراك المحض والذاكرة المحضة ، وفي كتاب التطور المبدع بين العقل والغريزة ، كما ميز في كتاب منبعي الأخلاق والدين الأخلاق « المغلقة » من الاخلاق « المفتوحة » .

وفي المقدمة شرح صحيح لمذهب (برغسون) في الأخلاق حاول المترجمان أن يحتفظا فيه بعبق من نفحات برغسون وسحر أسلوبه وشذا صوفيته . إلا أنها حاولا كغيرهما من المؤلفين ان يرتبا مبادي برغسون ، وبيننا تسلسلها بعضها من بعض . فما جاء في المقدمة قولها : « ان الدين والأخلاق من التوق والاندفاع ، والتوق والاندفاع من الانفعال المبدع والعاطفة الحرى ، والانفعال والعاطفة من التوازن والحركة ، والحركة من الديمومة ، والديمومة من الوثبة الحيوية » (ص - ٨) . فكان المترجمين يعتقدان ان الفكرة الأولى في فلسفة (برغسون) هي الوثبة الحيوية ، وان الديمومة مشتقة منها ، مع ان (برغسون) صرح غير مرة بأن الديمومة هي الفكرة المركزية في فلسفته كلها . وما المادة والحياة والنفس إلا ظواهر مختلفة لجوهر واحد هو الديمومة ، حتى لقد ذهب بعضهم الى ان الديمومة عنده هي الله .

ومها يكن من أمر فان تعريب هذا الكتاب يدل على اتجاه جديد في الترجمة لم يكتب صاحبا بنقل كتاب سهل لا قيمة له ، بل استسهلا الصعب وعزما على ترجمة كتب برغسون كلها ككتاب الزمان والحربة ، وكتاب التطور المبدع ، وكتاب الضحك ، وكتاب المادة والذاكرة . فاذا تم لها ذلك اضافة الى لغتنا العربية ثروة فكرية جديدة هي في أشد الحاجة اليها .

جميل صليبا

—••••—

هنري برجسون : رسالته في معطيات الوجدان البرهية

ترجمة كمال يوسف الحاج . منشورات كنوز الفكر الغربي - بيروت ١٩٤٥

عدد صفحاته ١٣٨ من القطع الوسط

عنوان هذا الكتاب باللغة الفرنسية « Essai sur les données immédiates

de la Conscience » ، وكنا نود لو أطلق عليه باللغة العربية اسم **الزمان والحرية** . لأنه يبحث قبل كل شيء في مسألة الزمان ويبحث أيضاً في مسألة الجبر والحرية . حتى أن (هنري برجسون) لما سئل عن الاسم الذي يجب أن يطلق على كتابه في اللغات الأجنبية فضل هذا العنوان على غيره . وربما كان العنوان الفرنسي أدل على موضوع الكتاب من هذا العنوان الفلسفي المجرد ، لأنه بدل على ان حقائق الوجدان كالأحاساس والعواطف والأهواء وغيرها يجب أن تعرى من جميع العادات المكتسبة والاعتقادات والأفكار والرموز . الا ان في ترجمة العنوان على النحو الذي اختاره المغرب شيئاً من اللبس والغموض . ونحن نفضل عنوان الزمان والحرية ، رغم صفة المجردة ، على هذا العنوان المفصل ، الذي لا تطابق كلماته كلمات العنوان الفرنسي .

أما ترجمة الكتاب فهي صحيحة بالجملة . الا انه ينقصها الضبط في بعض الاصطلاحات ، كما يعوزها الوضوح في بعض المعاني . أضف الى ذلك ان المترجم لم يوفق في ترجمته الى اعطاء الأسلوب الرجسوني حلة عربية قشبية . بل أدت محافظته على الأصل الى التمسك بالحروف ، فجاءت ترجمته مشوبة بكثير من الغموض . قال هنري برجسون : « ان كل تلخيص لنظرياتي يفسدها في مجموعها » . ونحن نقول ان كل ترجمة لكتبه تفقد روعتها . فقد امتاز (برجسون) بقوة أسلوبه ، وتبدو هذه القوة في تشابيه الجميلة ، واستعاراته اللطيفة ، وقدرته على ايضاح المعاني العميقة بألفاظ واضحة وصور حسنة . ومن السهل على الكاتب أن

ينحو في اللغة العربية نحو (برجسون) في اللغة الفرنسية ، إلا أنه من الصعب جداً على المترجم ان يجمع بين ضبط المعاني وروعة الأسلوب . لأن لكل لغة خصائص يصعب نقلها الى غيرها . فكما ان كثيراً من التراكيب الفرنسية تفقد قوتها وجمالها اذا عربت تعريباً حرفياً ، كذلك تفقد بعض التراكيب العربية بلاغتها وروعتها اذا نقلت الى اللغات الأجنبية . فلا بد اذن في الترجمة العلمية من الاقتصار على ضبط الاصطلاحات ووضوح المعاني . ولو لاءمت اصطلاحات المترجم معانيه وأغراضه ، وجاءت عباراته مطابقة للأصل لا كتفينا بذلك وضحينا بالأسلوب . ولكن بعض اصطلاحاته بعيدة عن الغرض الذي وضعت له ، كما ان بعض عباراته مشتتة على معان لا وجود لها في الأصل .

ومما يكن من أمر فان هذه الترجمة لا تخلو من الفائدة لاشتغالها على مقدمة بين فيها المترجم منزلة (هنري برجسون) ومنزلة كتابه هذا . والترجمة جيدة الطبع ضيقة الورق ، متقنة الترتيب ، أثبت المترجم في آخرها بعض الاصطلاحات الفلسفية باللغتين العربية والفرنسية . ومن عانى قراءة كتب (برجسون) وما اشتملت عليه من المعاني العويصة ، ادرك ما لقيه المترجم من المشاق والمصاعب في شق هذا المسلك الوعر . ولو سلك المترجمون طريقته في اختيار الكتب ونقلها الى لغتنا لأنموذج ثروتنا الأدبية ، ووسعوا أفق تفكيرنا ، وفتحوا لنا طريق الانتاج .

ج . ص



و . ج ما كبرابر : مركب النقص

ترجمه الأستاذ نوري الحافظ ، وقدم له الدكتور فاضل الجمالي
 طبع بمطبعة المعارف في بغداد ، وهو من منشورات مجلة المعلم الجديد
 عدد صفحاته ٦٣ من القطع الوسط

المركبات النفسية كثيرة : فمنها مركب (قايل) وهو حالة نفسية تدفع
 الأخوة والأخوات الى التطاحن لامتلاك شيء من الأشياء . ومنها مركب

(أوديب) وهو مجموعة من النزعات والعواطف تدفع الطفل مثلاً الى حب أمه وكره أبيه . ومنها مركب النقص ، وهو صفة الرجل الذي أصبح غير واثق من نفسه يكدح تحت عبء الشعور بالخوف والنقص .

وقد أطلق الدكتور (فرويد) هذا الاصطلاح على العواطف السلبية الناشئة عن الخوف من عجز الأعضاء التناسلية . وبين الدكتور (آدلر) ان مركب النقص قد يظهر في عدة حالات لا علاقة لها بالقضايا الجنسية ، كشعور الطفل مثلاً بنقص عضوي في تكوينه يلازمه كل ايام حياته . فالدافع الأساسي للسلوك عنده هو « تأكيد الذات » ، وكل احباط لهذا الدافع ناشئ عن نقص وراثي او كسبي يولد مركب النقص ، ويؤدي في النهاية الى الوقوع في المرض النفسي . ولمركب النقص صفات رئيسية ترجع الى اختبارات نفسية مكبوتة كالخوف والابتعاد عن الواقع ، والاختناق في الحب ، واللجوء الى الأوهام والأحلام . وله صفات ثانوية ، تنشأ عن سوء التربية كالقلق ، والتعيب الاجتماعي ، والعزلة وشدة الاحساس ، ومذاجة التفكير ، وعدم الاعتدال ، والميل الى التهمك والانتقاد . وتظهر هذه الصفات في الرجل الوضيع المتعاطف وفي المسرف في تأنقه ، وفي المرأة المتشبهة بالرجال ، وفي الرجل المتشبه بالنساء ، وفي الشخص الذي يظن أنه فريد عصره ، وفي الشخص المشاغب المتحير .

وعلاج مركب النقص الانتباه الى أسبابه ومحاولة التغلب عليها . فاذا كان ناشئاً عن الشعور بنقص عضوي كالافراط في السمنة أو النحافة أو البرص ، أو الأنف الأعقف ، أو الاختلاف في لون العينين ، أو الأسنان البارزة ، أو العور ، أو العمى ، وجب قبول هذا النقص على علته بشجاعة وتعقل ، إذ لا حيلة لأصحاب العاهات في تبديل حالتهم . وفي وسعهم ان يتغلبوا على نقصهم بالسعي والمشقة وقوة الارادة . ومن كان قميئاً ، باذ الهيئة ذمياً ، وكان مع ذلك مثقفاً عالماً ، استطاع ان يبذ أقرانه وبفوقهم . والناس يفضلون الذميم العالم على الجليل الجاهل ، حتى ان التعجب من الذميم قد يكون سبباً للعجب به ، واذا كان

مركب النقص ناشئاً عن سوء التربية كالغنج والدلال أو القسوة والظلم أمكن التغلب على أسبابه بأضدادها ، فإذا كان الفتى مربى على الدلال عومل بشيء من القسوة ، وإذا كان مربى على الظلم عومل بالرحمة ، ومهما يكن من أمر فان للمرء عدوين لدودين هما الأنايئة والجهل ، فإذا استطاع ان يتحرر منهما عاش في أمن وسعادة .

فأنت ترى أن هذا الكتاب مشتمل على حقائق نفسية جليلة . وهو مترجم بأسلوب واضح ، الا انه لم يخجل من بعض الهنات ، كقول المترجم (اغاضته) ص - ١٢ ، والصواب (اغاظته) ، وكقوله (نضع) و (فضيحة) ص - ٣٧ ، والصواب أفظع ، وفضيحة . وقوله (أحدى المعامل) ص ٥٤ ، ٥٥ ، والصواب (احد المعامل) . وقوله (جابها) ص ٨ ، والصواب واجهها . من الهنات التي يجب التنبيه اليها شرح المترجم كلمة (الأتويا) في النص بقوله : « كأتويا توماس مور ، وأتويا ملتن في الفردوس الأرضي ، ورسالة الغفران عند المعري ، والكوميديا الإلهية لدانتي اللجيري » (ص - ١٤) . فهذه الأمثلة لا تصلح كلها للدلالة على (الأتويا) ، إذ أن رسالة الغفران ليست من الأوهام التي تخيلها أبو العلاء للارتقاء من عالم الحقيقة الى عالم الخيال ، بل هي مشتملة على نقد حقيقي . وكان احرى بالمترجم ان يورد هذا الشرح في الهامش ، وان يقتصر على أمثلة واضحة لا جدال فيها كجمهورية افلاطون ، والمدينة الفاضلة للفارابي ، وأتويا توماس مور ، ومدينة الشمس لكامبا نللا .

وليست هذه الهنات بقادحة في قيمة الكتاب ، بل الكتاب كما قلنا جليل المباحث ، جيد الترجمة ، تليد مطالعته لكل طالب .

ج . ص



موجز الطب الجراحي

لمؤلفه الدكتور نظمي القباني أستاذ الجراحة في معهد الطب العربي بدمشق

كتاب فريد في بابيه ليس له مثيل ، على ما نعلم ، في لغة الضاد . فان أسلافنا العظام الذين تركوا من المؤلفات في شتى الفروع الطبية ما يدل على طول باعهم لم يخاطر لم في بال طرق هذا الموضوع . ولا عجب فان الطب الجراحي فن حديث العهد لم توضع قواعده ولم تنظم سنننه الا بعد ان وضعت قواعد الجراحة ذاتها ونظمت سننها وذلك العقبات التي تقوم في وجهها . واذا قيل ان هذا الفن يدرس على الجثث حيث لا يمنع الألم الجراح من اتقان عمله وحيث لا يخاف ان تفسد العفونة عليه طريقته أجبننا ان تشريح الجثث ، وهو الممر الذي يعبر به الجراح من الميت الى الحي ، كان محرماً في القرون الأولى فلا عجب اذا لم ترتق الجراحة في ذلك العهد ارتقاء الفروع الأخرى واذا لم تثب وثبتها الى الامام قبل حل هذه العقدة وابعاحة تشريح الجثة . وقد خطت الجراحة متبعة هذا الفن خطوات سريعة الى التقدم وسائرة معه جنباً الى جنب غير انها ارتطمت بعقتين كؤودين هما الألم والعفونة فان الجراح لم يكن يتمكن من اتقان عمله على الأحياء للألم الذي كان ينتاب جريحه ولم يكن يقدم على الأعمال الجراحية الكبيرة وفتح الأجواف لأن العفونة كانت واقفة له بالمرصاد ولأنه كان يجهل قواعد التعقيم فكان التعفن يقضي على معظم جرحاه . فلا عجب بعد ما ذكرنا اذا لم يتعرض أطباء العرب للبحث في هذا الموضوع .

وبعد ان ذلت هذه العقبات جميعها في الغرب وسار هذا الفن هناك سيره السريع الى الامام ودبت في البلاد العربية روح النهضة الحديثة لم نر من زملائنا العرب من أقدم على التأليف في هذا الموضوع لأن مؤلفات كهذه تتطلب نفقات كبيرة ولأن الاقبال عليها قليل . واذا دفعت اللذة العلمية بعضاً

من العلماء الى التضحية رغبة في التأليف نفسه فان هذه الرغبة لا تتعدى عادة حدود الخسارة المادية .

والنتيجة ان هذا المؤلف هو الأول الذي عرفناه في هذا الفن .
قسم المؤلف كتابه ثلاثة أبواب فخصص الباب الأول بربط الشرايين وقد جعله أربعة فصول فذكر في الفصل الأول المعلومات العامة في ربط هذه الاوعية وفي الفصل الثاني ربط شرايين الطرفين السفليين وفي الثالث ربط شرايين الطرفين العلويين وفي الرابع ربط شرايين العنق .

وتكلم في الباب الثاني عن بتر الأطراف وتسميم المفاصل وقد قسمه أربعة فصول أيضاً فذكر في الفصل الأول المعلومات العامة وفي الثاني بتر الأطراف العلويين والسفليين وفي الثالث تسميم مفاصل الطرفين العلويين وفي الرابع تسميم مفاصل الطرفين السفليين .

وقد خصص الباب الثالث بنشر العظام قامماً اياه اربعة فصول فجاء في الفصل الأول بالمعلومات العامة وفي الفصل الثاني بنشر عظام الطرف العلوي وفي الثالث بنشر عظام الطرف السفلي وفي الرابع بنشر عظام الرأس والجذع .

وقد طبع الكتاب طبعاً متقناً في مطبعة الجامعة السورية بدمشق سنة ١٩٤٤ ونهج المؤلف في وضعه نهجاً خاصاً فلم يعتمد الى التطويل الممل ولا الى الاقتضاب المفضل واختار من الطرائف أسهلها تناولاً تاركاً ما كان منها معقداً . ويقع الكتاب في ٣٣١ صفحة وهو مزدان بمائتين واثنين وستين رسماً على الرغم من صغر حجمه .

فالى زميلنا الفاضل ، الذي تكبر همته ونشكر له باسم اللغة العربية اقدامه على سد هذه الثلمة في مجموعة المؤلفات الطبية ، أخلص تهانينا بكتابه الفريد .

الركنور مرشد خاطر



فن التوليد

الجزء الأول

لمؤلفيه : الدكتور شوكة القنواقي استاذ فن التوليد وأمراض النساء وسريرياتها في معهد الطب العربي والدكتور محمود مظفر برمدا مساعد شعبة التوليد وأمراض النساء وسريرياتها في معهد الطب العربي .

كتاب يقع في ٥٤٤ صفحة طبع في مطبعة الجامعة السورية بدمشق سنة ١٩٤٤ مزدان بـ ٨١ رسماً يبحث في الحمل والولادة وعواقب الوضع الطبيعية قسمه مؤلفاه ثلاثة أبواب فخصصا الباب الأول بالحمل الطبيعي وضمناه ثمانية فصول الفصل الأول في الاقحاح والثاني في نمو البيضة وتكوين المضة والثالث في الجنين وملحقاته والرابع في القناة الحوضية التناسلية والخامس في التبدلات التشريحية والغريزية الطارئة على جسم الوالدة في أثناء الحمل والسادس في اعراض الحمل وتشخيصه والسابع في أوضاع الجنين والثامن في حفظ صحة الحمل .
وخصصا الباب الثاني بالولادة الطبيعية وضمناه أربعة فصول : الفصل الأول في الولادة اجمالاً والثاني في مختلف الميئات والثالث في الخلاص والرابع في الحمل المتعدد والولادة فيه .

وخصصا الباب الثالث بعواقب الوضع الطبيعية وضمناه فصلين : الأول في حالة النساء والثاني في الوليد .

ولغة الكتاب ومصطلحاته صحيحة وأبحاثه مفيدة وفيه من النظريات أجدتها ومن المعلومات الفنية أوفرها . ولا نغالي اذا قلنا انه يضاهي الكتب الأجنبية التي وقع عليها نظرنا من حيث غزارة المادة وحسن التويب . وانه أفضل مؤلف عربي في نوعه لأن ما كتب في هذا الموضوع بلغة الضاد قديم العهد ولا يوافق النظريات الحديثة ولا سيما ما كان منها ذا علاقة بالغدد الصم ووسائل تشخيص الحمل الحديثة .
جزى الله المؤلفين لقاء خدمتها للغة الضاد خير الجزاء ووفقهما الى اصدار الجزء

الثاني لتكتمل هذه الحلقة ويعم نفعها .
الدكتور م . ف . خ

دمشق القديمة : أسوارها ، أبراجها ، أبوابها

هذه النشرة هي أولى مطبوعات مديرية الآثار القديمة السورية . وهي من وضع السيد صلاح الدين المنجد في عام ١٩٤٥ . رتقع في نحو (٦٠) صفحة . يتخللها صور ومصورات لبعض هذه الآثار . وقد ضمنها وصفاً موجزاً لسور دمشق وأبوابها مع نبذ من تاريخها . وقد رأت مديرية الآثار القديمة كما ذكر واضعها في مقدمته : « أن تصدر نشرات عربية مبسطة تضمن للناس ثقافة تاريخية آثرية . يتبينون فيها روائع ميراثهم القومي التاريخي المائل في آثار هذا الوطن » . فنعم الفكرة هذه . وما أجزل فوائدها للناس . يتعرف بها أبناء البلاد الى تراث السلف وترشدهم الى محاسنه ، ليألفوه . وتحببه لهم ، ليقدروه حق قدره . فيعملوا على حفظه وصيانته .

حبذا لو ان الكاتب وضع الى جانب الاصطلاحات الفنية التي استعملها ما يقابلها في لغة أجنبية ما ، كي لا يلتبس على القاري فهم مدلولها في مثل قوله : « برج مربع بشكل موشور ، وقوس خمسة » . وذكر عن باب الجنيق المسدود أنه روماني مع انه لا يوجد ما يستدل منه على قدمه في حالته الحاضرة ويرجع أن يكون من العهد الاسلامي . وقال ان باب توما منسوب الى عظيم من عظماء الروم . والأصح بأنه منسوب الى مكان في ظاهر دمشق كان يعرف بهذا الاسم . وقال في صفحة ٤٥ : سيف الدين ابي بكر بن أيوب أمير المؤمنين . وصوابه أن يقال : بن أيوب ناصر أمير المؤمنين . وجاء في رقم (٢) من صفحة الاضافات والتصحيح : « ان السيل حمل برجاً صحيحاً ومعه في جانبه مدينتين ودفع ذلك كله غربي المدينة » . وهذه العبارة مشوشة في معناها ومعناها . ولذلك أقترح تصحيحها على الوجه الآتي : « ان السيل حمل برجاً صحيحاً ومعه في جانبه مآذنتين ووقع ذلك كله غربي المدينة » . اذ لا يعقل ان يحمل السيل برجاً ومدينتين الى غربي المدينة . مع أن السيل لا يأتي دمشق الا من ناحية الغرب متوجها الى الشرق . وقال في رقم (١٨) باب النصر ويسمى باب السرايا . مع ان الباب الأول كان في سوق الأروام والثاني هو باب السرايا المشيرية . وجاء في مصور مدينة دمشق القديمة ، ان اسم النهر الموجود شمالي قلعة دمشق نهر بانياس ، وصوابه نهر غقربا .

فترجو للأستاذ المنجد الذي عرفناه أديباً أن يوفق في أبحاثه الأثرية كنجاحه في مواضيعه الأدبية وان تكون هذه النشرة المفيدة باكورة أبحاث أوسع .

جعفر الحسني



بهارستان نور الدين

وهي أولى الدراسات التي وعد السيد صلاح الدين المنجد بنشرها عن أبنية دمشق التاريخية . وتقع هذه النشرة في ٣٩ صفحة من القطع الكبير . مزينة بعدد من الصور والرسوم المفيدة . وقد وفق الأستاذ فيما أورد وأصاب فيما نقل . متقياً ما أمكن مواطن الزلل ومتماشياً كل ما يثير الجدل . وهذا شأن قواعد الدراسات المبسطة التي يحسن أن يقتصر بحثها على الخطوط الأساسية المتفق عليها . وأما قوله : ان بعض مواد البناء الرخامية المستعملة في بناء البهارستان كالعمودين والألواح المزخرفة قد أخذت من إحدى الكنائس . فهذا زعم يفتقر لإثبات ولا يقوم عليه دليل . وهي من جملة أوهام بعض المستشرقين . ولذلك يجب علينا أن لا نتسرع في نقلها ولا ننجزم في صحتها . نشكر الأستاذ المنجد على هذه الدراسة المفيدة ونرجو له التوفيق في دراساته المقبلة .

ع . ج



سومر

صدر الجزء الأول من المجلد الثاني من مجلة سومر التي تصدرها مديرية الآثار القديمة في العراق . وهو طافح بالأبحاث التاريخية عن العراق وانبائه الأثرية في مختلف العصور ومزين بأحسن الصور . وتشهد جميع هذه الأبحاث على علو مكانة كاتبها العلمية وحرصهم على تحري الحقيقة فضلاً عن توفيقهم بانتقاء الأبحاث . وجاء في جملة أنباء الآثار ص ١٣٣ . ان المتحف العراقي قد اقتنى درهماً نقش عليه صورة الخليفة العباسي المقتدر بالله جعفر . وانه قد يكون الوحيد من نوعه في العالم . وقد سبق لدار الآثار في دمشق ان اقتنت منذ سنوات درهماً يشبهه وقد نشره في حينه كاتب هذه الأسطر في كتاب :

ع . ج

ص ٤١٨ Melanges Syriens offerts à M. R. Dussaud

آراء وأنباء

الحكومة المصرية تبرع بألفي جنيه

لمكتبة أبي العلاء المعري

كان الدكتور طه حسين بك قال في كلمته التي ألقاها في المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري الذي أقامه المجمع العلمي العربي في دمشق في ٢٥ إيلول سنة ١٩٤٤: «٠٠٠» ثم رأيت مصر أن تكون مشاركتها في إحياء ذكرى أبي العلاء متصلة بشخصه وبلده ، وقد علمت أن سورية قد جددت قبر الشيخ وأقامت الى جانبه مكتبة ، فقررت أن تشارك في هذه المكتبة ، وكلفني وزير المعارف أن أعلن ان الحكومة المصرية تبرع بألفين من الجنيهات لتشتري بها الحكومة السورية بعض ما تحتاج اليه هذه المكتبة من الكتب^(١) .

وقد استلم المجمع من المفوضية المصرية بدمشق حوالة بألفي جنيه مصري ، وقرر أن يؤسس بها خزانة كتب بجانب ضريح أبي العلاء بدعوها «دار الحكمة العلائية» يجمع بها آثار أبي العلاء مخطوطها ومطبوعها وما كتب عليه قديماً وحديثاً ، يضاف اليها أمهات الكتب في الأدب واللغة والتاريخ وبقية فروع الثقافة الاسلامية . فالمجمع يشكر للحكومة المصرية الجليلة هذه اليد البيضاء على العلم والأدب ، ويحيي مصر ويرجو لها السعادة واطراد التقدم والرفي في ظل ملكها الفاروق حفظه الله .

(١) المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ص ٢١

م (٦)

— ٢٧٣ —

الاستعمال محكم^(١)

لوحظنا للعامة بكل محرجة من الأيمان أن كلمة سيارة ودراجة وقاطرة وشاحنة وسفينة أرق وألطف وأدخل في موازين اللغة من أوتومبيل وبيسكيت ولو كوموتيف وفاغون ووابور ما استجابوا ولا صدقوا . ولو قلنا لهم ان لفظ بريد وبرق وهاتف أرشقي من بوسطة وتلغراف وتلفون وجسر خير من كوبري ومستشفى من اسبتالية ومعمل ألطف من فاوريقة أو فابريكة والثوي أحسن من السلامك والمثوي أنفع من بانسيون والحساء من شوربة والشطيرة من سندويتش والدرور من بودرة والجمعة من بيرا وعقود من كتراتات ويانصيب من لوتريا ووقاد أحسن من عطشجي ومصرف من بنك ودار الندوة ودار الآثار ودار الكتب أحسن من بارلمان واتكخانه وكتبخانه ماسمعوا ولا ارعوا .

وحيثما انقلبتم في مصر وانصتم الى المتكلمين في مدنها وأريافها يتراعى الى اسماعكم نموذجات غير جميلة من الأمماء التركية حتى لتسمع في بعض البيوت القديمة الى اليوم لفظة أبله ، انشته ، دادة ، نينة ، تيزة ، نا ، بابا ، فرشة ، طقم ، طربة ، بقجة ، شنطة ، شلثة ، يشمق ، ظلمبة ، سادة ، يوياء ، يفما ، ماشة ، قولتق ، كليم ، تخنة ، خوجه ، جزمه ، شادر ، شاكوش ، أرمان ، بشادرة ، بشكير ، خردة الى عشرات غيرها . وفي الشارع تسمع كلمات طليانية ورومية وفرنسية وتركية ، فترام يقولون في المطاعم مستاردا ، كومبوستو ، روستو ، فينو ، فيلنتو ، كوتليت ، اومليت ، سباكيتي ، ترشي ، بلاو ، ضولمة ، يخني ، كفته ، اوزي ، صلاحة ، صلصة ، جاتو ، فروتو . وعشرات مثلها مما له مقابل في لغتنا وهو أسهل وأسلم علي النطق من اللفظ الأعجمي .

تسمع من أفواه المتمدنين والمتمدنات في الصباح والمساء كلمة فاتورة ، مانيفاتورة ،

(١) هذا بيان تلام الأستاذ محمد كرد علي في الجلسة الخامسة من الدورة الثانية عشرة لمجلس

فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة (٢٧ صفر ١٣٦٥ و ٣١ من كانون الثاني ١٩٤٦) .

فورمه ، مزورا ، موضة ، برؤتستو ، كيبو ، اسقنطو ، كارو ، مناورة ، بلاج ،
كابين ، كابينه ، كاباريه ، بوفيه ، اوبرج ، كورنيش ، فرنيش ، مايو ، كلسون ،
كومبينزون ، شورت ، سبور ، لو كاندو ، اوتيل ، اوسته ، فانتيزي ، يافة ، باترون ،
مارمتون ، جارسون ، ميتردوفيل ، روب ، روب دي شمير ، بيجاما ، جا كيته ،
بالطو ، بنطلون ، ساتين ، موسلين ، اشارب ، ماتينيد ، سواربه ، كريم ، بودرا ،
روج ، مانو كور ، نواليت ، فيترين ، بانيو ، صالو ، صالون . ولهذا الألفاظ كلها
ما يقابلها من العربية وقد يعرفها العامة دع الخاصة ، ولا تجدتهم أنفسهم باستعمالها
نكابة بهذه اللغة وكيداً لأهلها أو حتى يقال عنهم على الأقل أنهم متمدون
والألفاظ الافرنجية أقرب الى أذواقهم من الألفاظ العربية وما شاء الله كان .
وليت شعري متى يبطل في مصر ما تأصل فيها من الألفاظ التركية في
الجيش والحياة العامة ورسخت في الألسن والأقلام وليس هناك من ينكرها مثل
صول ، قول ، صاغ ، بيكباشي ، يوزباشي ، باشكاتب ، باشمهندس ، سواري ،
بيادة ، طوبجية . الى كثير غيرها ، وقد قيل أن ألفاظ الجيش وحدها تبلغ ألفي
كلمة . وكان مجمعنا عهد الى رصيفنا العلامة الشيخ أحمد الاسكندري رحمه الله
النظر مع خبير عسكري في وضع أسماء عربية تقابل تلك الأسماء التركية
فوضعا ما وضا له من الألفاظ ولما هلكا لم نعد نسمع خيراً عما تعبنا في وضعه
من المفردات ، ولا تزال مصر الى الآن مقصرة عن العراق والشام في تعريب
ألفاظ الجيش وكان المأمول أن تتوحد هذه المصطلحات في هذه الأقطار الثلاثة .
مساكين علماء اللغة يكدون أذهانهم ويتعبون عيونهم في البحث لايجاد
كلمات لا يقبلها الجمهور الا اذا وافقت هواه واستسهل النطق به وعرضت له عوارض
تذكر به في كل شارقة وبارقة . والعامة على ما يظهر تختار من الألفاظ ما يطرق
سمعا بادي الرأي وتحفظه لا تحفظ غيره وصعب اكرهاها على استعمال الفاظ
بعينها اذا رأت في مألوفها ما يجزي عنه ويعبر عن حاجات النفس . وثقوا أن
كلمي جريدة ومجلة اللتين وضعها العلامة احمد فارس أتابه الله لو لم يكن أرباب

الصحف أنفسهم هم الذين دللوا عليها لظلمنا الى اليوم نطلق اسم بولتين أو رفو أو مكازين على المجلة وجورنال أو غازيته على صحيفة أو جريدة ، ومع هذا لانزال نسمع كثيراً من خاصتنا الى اليوم يقولون الجورنال ومن العامة من يقول جورنال بالنون . وضع هذا المجمع وجمع الشام ألفاظاً لمسميات افرنجية ولم تنتشر كلها الانتشار المطلوب لثقل العناية بطرق نشرها ولا أكتمكم اني يأس من شيوع بعض ما وضعناه لناطحات السحاب منذ قلنا «الصرح» ومذ أطلقنا «الطرز» على البيت الصيفي و «المتعب» على سيفون و «الاردبة» على البالوعة الواسعة و «المشن» على الدوش و «الوشيعه» على حظيرة الشجر حول الكرم والبستان و «الوفيعه» على تلك الخرقه التي يسمح بها الكاتب قلمه من المداد و «الدريئة» على بارفان و «المشوش» على السرفيت و «الندل» على خدم القهوة أو الكارسونات و «الابريج» على المخضه و «العتايات» على المكشطة .

وليت شعري كم يتنضي من الزمن حتى تنتشر كلمة «المجسدة» التي وضعناها لتوت على نحو ما انتشرت الجزازة والاضبارة للاعراب عن فيش ودوسيه . ومثل ذلك قولوا في «الاراض» التي وضعت للبساط العظيم الذي يفرش في الأبهاء والردهات و «التحذيف» لتصنيف شعر المرأة وقص أطرافه و «المنوار» «لفريبر» أي المصباح الكبير الذي يعلق في الشوارع والحدائق العامة و «المرصده» التي وضعت لتلسكوب و «المصوات» ليكروفون و «الأجمية وحى الأجمية» للملاريا .

ومها يكن فلا ينبغي لنا أن نياس من نشر ما يميننا من الألفاظ فقد حاولت أن أنشر بعض النصيح المنسي منذ بدأت أكتب في الصحف فكنت أستعمل لفظة أو لفظتين في المقالة الواحدة أو الفصل الواحد فأصبح ما استعملته مألوفاً بعض الشيء في البيئه التي عملت فيها وحصلت بها أنسة للقراء فلم تنفر منها الأسماع . فلو كانت وسائل النشر أوسع لدي لصادفت تلك الألفاظ من الرواج بالضرورة أكثر مما صادفت ، وبخاصة اذا تبناها بعض رجال الصحافة فان منهم من علونوا

على اشاعة بعض الألفاظ حتى كدنا نغافها لكثرة ما رددوها في كل موطن مثل لفظ «أجل» و«فحسب» و«الهيل والهيلات» .
 نعم يجب أن يكون أحدنا كالطبيب المداوي لا ينقطع عن معالجة مريضه ولو كان الأمل في شفائه واحداً في الألف ، قص علي أحد زملائي في المجمع العلمي العربي أنه كان في بعض العشايا ماراً في زقاق وكانت تلك الليلة من ليالي المرافع «الكارنافال» فسمع ولدين في نحو العاشرة من عمرهما يسأل أحدهما صاحبه أين كنت الآن قال كنت في المقنع Balmasqué فدش صاحبي من مريان هذه اللفظة الفصيحة الى لسان الفتين .

ومن الحزم أن يعول على الفتیان والفتيات في تقبل الفصيح بلقنهم إياه أسانذتهم منذ عهد الكتاتيب إلى آخر مراحل التعليم في الجامعات حتى اذا تمكنت من أسنتهم انتشرت بحكم الطبيعة في العامة ومن قرب من طبقتهم وعندئذ يتعذر على العامة أن تقتل الفصحى .

ولا بد أن يأتي يوم بكثير فيه استعمال ما نضعه أو يضعه غيرنا من الفصيح ويقضى على الأسماء الأعجمية ويجب على كل حال أن نذكر الخطوات الناجحة التي خطوناها منذ خمسين سنة لاحتلال الفصحى محل العامة المتلونة كل عهد بلون .
 لا جرم أننا مقصرون في الدعاية لما نضع من الألفاظ ومن هذا التقاعس ما يمكن تلافيه ومنه مادعت اليه أسباب قاهرة . فقد حالت الحرب دون نشر مجلتنا وهي أدواتنا الوحيدة في الاعلان عن بضاعتنا فما طبقت قاعدتنا في نشر الألفاظ التي نحاول احياها أو اشتقاقها من أصولها . وقاعدتنا هذه الا تصبح اللفظة الجديدة معمولاً بها الا اذا أتى على نشرها في المجلة حول كامل ولم يرد اعتراض عليها . ولذلك يكون يوم عودة مجلة المجمع الى الصدور من الأعياد السعيدة وعساه يطرد ارسالها هذه المرة الى القاصية والدانية تتناولها أيدي عشاق العربية في الآفاق . فنحن في حاجة لدعاية واسعة النطاق لما نحييه من المفردات ونقرره من القواعد لتسهيل اللغة . نحتاج الى نشر ما نضع في الصحف

والجلات وفي نشرات ورسائل ترسل لمن ينتفع بها بالبحان في أوقات معينة لا نخل بها وإذا أستطعنا أن تقنع الحكومات بمعاودتنا في هذا الشأن يزيد ما نريد نشره في الناس انتشاراً كبيراً فبقليل من العناية يمكن الاستغناء عن مئات من الاسماء الأعجمية وذلك بأن تصح عزيمه الحكومات على حمل الفنادق والمقاهي والحانات مثلاً على استعمال ألفاظ عربية فتحظر على أربابها استعمال الألفاظ الأفرنجية بتاتاً وما أظن ما نسمعه كل يوم في المقاهي مثل «اوناسكيتو» و«اونافاريلكي» و«اونامتريو» الى غير ذلك من الأسماء يرضى الناطقون به أن ينادي مناد بالعربية في مقاهي بلادهم وحاناتها وفنادقها هذا ونحن نرى القهاري البلدية تنادي على هذه المشروبات بألفاظ عربية منتقاة جميلة نسمع نموذجات منها في مقاهي سيدنا الحسين وغيرها من مقاصف الأحياء .

ولو أن حكومة مصر عاوت هذا المجمع على بث الصحيح لما انقضت سنة الا وأكثر الألفاظ الأعجمية تختلي من الميدان ويطويها النسيان فلا يعثر عليها إلا في معاجم لغاتها وتحل محلها الألفاظ العربية في قطر هو عربي خالص منذ ثلاثة عشر قرناً .

أما أن تترك ما تعبنا في وضعه للطبيعة فنشره أو تغمره فنطبع من مجلتنا بضعة ألوف ونوزع منها مئات ونخزن الباقي في المستودعات بأكلها الفأر ويسودها الغبار فهذا تقصير أخشى أن يكون داخلاً في نقص القادرين على التمام .

أما ولم يبق أمامنا الآن عائق يعوقنا عن إتمام عملنا فواجبنا أن نشط وندخل بعض التعديل في أساليبنا والزمن يدعونا الى ذلك فقد كان ابن القرن الماضي يكتبني بحفظ ألفين أو ثلاثة آلاف كلمة بقلها في وجوه استعمالته وابن هذا العصر يحتاج الى استظهار ألوف من الألفاظ ما كانت تخطر ببال أبناء الأجيال السالفة فالمصلحة اذاً في نشر أكبر عدد ممكن من ألفاظنا العربية والموضوعة واخراجها في معجم صغير يكبر مع الزمن ثم يجعل منه ما يفي بحاجة المبتدئ والمتوسط والمتنهي .

يشهد عوز الأمة العربية الى نشر معجم صغير قبل كل شيء . وهنا أبري نفسي من تهمة أدبية همس بعضهم بها وهي أنني كنت في جملة الرافضين نشر معجم رصيفنا العلامة شيفر أنا لم أرتكب هذا الجرم وإنما قلت يومئذ انه كتاب ينفع خاصة المشتغلين باللغة فهو « اللوكس » ونحن ننظال أولاً الى البسيط العادي واني أفضل تقديم الأهم على المهم والأهم نشر معجم المجمع الذي طال الوعد باصداره واني لا قصد لي الا قصدكم وما حدث ولن أحميد عن خطتكم والمصلحة في الامراع بعرض أعمالنا على العالم والزمن لا يحتمل التسويف او عصرنا عصر السرعة والمفاجآت . وعملنا لا يكمله النجاح الا بالدعاية بكل أساليبها على ما تجري عليه كل دعابة سياسية ودينية والله الهادي الى ما فيه خير اللغة العربية .

محمد كرد علي

الضربوة

١ - توطئة

هذه كلمة غريبة الصيغة ، حلوة على السمع . وتلفظ Freywinneh أي بضم الفاء (والعامية تسكنها) وفتح الراء فتحاً بإمالةٍ قصيرة ، واسكان الياء المثناة التحتية ، وكسر الواو ، وتشديد النون المفتوحة ، وفي الآخر هاء ، غير صميم . هي اسم نباتٍ مبثوث في أراضي الموصل ، والهضاب التي حولها ، ولم يتمكن احد من معرفته بالتام والقبض ، إلا واحد من علمائنا الأعلام ، هو الطبيب النظامي ، الدكتور داود الجلي ، الموصلية الولادة والنشأة .

٢ - أصل هذه الكلمة

سألت كثيرين عن أصل هذه الكلمة ، ومن أي لغة وردت علينا ، فلم يتمكن احد من معرفتها . وسألت جماعة من الفضلاء والبصراء باللغات السامية والياثية والحامية ، فلم يستطع أحد ان يجيبني عنها الا الدكتور الجلي وحده - فله الفضل العظيم على كل من بتلقاها عنه ، في هذا المقال . قال حرسه الله ما هذا نصه بحروفه ، وذلك بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ١٩٢٥ :

(الفرينة) : نبات ذو بصلة ، يزهر زهراً احمر وردياً جميلاً ، يصلته ذات طاقات حلوة ، تؤكل . خارجها قشر احمر ، كقشر البصل العادي ، يليه طبقة من ألياف دقيقة ، ناعمة ، حريرية ، كأنها شعر فروة ، ومن هناك اسمها عند أهل الموصل . « صغروا (فروة) ، فقالوا (فُرَيْوَة^(١)) وكسعوها بألف ونون للنسب ، بدل الياء بعد حرف الهاء ، فصارت : (فُرَيْوَان) وهذه النسبة مستعملة بكثرة عند الأعراب^(٢) فيقولون لمن ولد في ارض يكثر فيها الشيخ : (شبحان) . واعرف اعرابياً اسمه (نديان) ، سأله لماذا سموك بهذا الاسم ؟ - فقال : لأن صبيحة الليلة التي ولدت فيها اصبحت الأرض قد عمها (الندى) ؛ ثم ألقوا بفرِيوان ، تاء^(٣) التأنيث ، فصارت (فريوانة) ولكنهم يجرّفونها فيلفظونها : (فريونة) [بتشديد النون في مكان حذف الألف]^(٤) .

ثم قال حضرة الدكتور : « لاشك في كون هذا النبات من الفصيلة الزنبقية Liliacées ؛ لكنني لم أحتد لاسمه العلمي ، لأنني لم أجد في الكتب التي لدي ، من وصفها وصفاً واضحاً ، وذكر فروتها ، وانها تؤكل .

« ظننتُ أولاً ان Muscari comosum ينطبق عليها ؛ غير اني وجدت اني كتبت في بعض قيوداتي : ان هذا بصل القى ، فعدلت عنه .

(١) قال الأب أنستاس ماري الكرملّي : صحّحوا الواو ، وان جاء قبلها ياء ساكنة ، حرصاً على سلامة اللفظ الأصلي كما صحّحوها في تصغير أسود . فقالوا : أسود . وفي تصغير حُلوة ، قالوا : حُلوبة . (٢) مثل هذه النسبة القريبة معروفة عند الأقدمين ، والمؤيد ذكرها النحاة ، ولا أرباب القواعد العربية . فقد قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة عبادان : « وأما إلحاق الألف والنون ، فهو لغة مستعملة في البصرة ونواحيها : إنهم اذا سموا موضعاً ، أو نسبوه الى رجل ، أو صنعة ، يزيدون في آخره ألفاً ونوناً ، كقولهم في قرية عندهم منسوبة الى زياد بن أبيه : زيادان ، وأخرى الى عبد الله : عبد الليان ، وأخرى الى بلال بن أبي بردة : بلالان » انتهى كلام ياقوت . (٣) انما أتوها اشارة الى الزهرة كأنهم قالوا : الزهرة أو النبتة ذات الفروة ، لأن هذه الفروة لا تظهر إلا من بعد أن زهر البصلة . (٤) ومثل هذا الحذف والتبويض عنه بشد الحرف الذي يتلوه ، قولهم في انجاس : إجاس . وفي انجار : إجار ، وفي خرئوب : خرئوب ، وفي ذرنوح : ذروح ، وفي انجانة : إجانة ، إلى ما لا يحصى ذكره لكثرة وروده في لسانهم .

«واكثر ظني ان (الفربونة) هي التي وردت في قاموس شرف باسم (قُطَّان) لكن لا أجزم به ، لأن الدكتور شرف ، لم يتعرض لوصفه ؛ وكذلك احمد عيسى في معجمه . ولم اجد هذا الاسم في سائر الكتب » انتهى كلام صديقنا الدكتور العلامة .

قال الأب أنستاس ماري الكرملي : ان رأي الدكتور الحلبي الأول أي ان الفربونة هي Muscari comosum هو الصواب ، وأما قوله انه بصل القبيء فبني على معجم احمد عيسى ، فانه ذكر (للمسكاري كوموزوم) عدة مترادفات هي : « بصل الزيت » [أي بزايين] - حلحل ج : حلحل ، بصل القبيء - بصل بري - بصل المسك - بصيل - الزيت [بزايين] (عريية) - زوزا (مريانية) - مداد أقرع - ثومة الرعيان - بصل فرق - بصيلة (سوريا) انتهى .

وفي هذا كله من الخلط والخطب ، ما لا يحتاج الى تفنيد ، لظهوره لكل ذي عينين . اما ان (مسكاري كوموزوم) وهو Muscari comosum هي الفربونة نفسها ^(١) فلا ينكر البتة ؛ لأن الكلمة العلمية اللاتينية تعني الحلحل الأشعر او الشعر (ككتف) ، لا الحلحل الأزب (بتشديد الباء) كما قال الأمير مصطفى الشهابي ^(٢) ، لأن الأزب معناه الكثير شعر الوجه أما Comosum فمعناه الشعر او الأشعر ، اي الكثير الشعر ، ومعناه أيضاً الجحّم اي ذو الجمّة وهي مجتمع شعر الرأس . وقد ذكر الدكتور الحلبي ان (الفربونة) معناها ذات الفروة ، والمراد بالفروة هنا جلدة الرأس بشعرها ، لأن على رأس زهرتها ما يشبه الشعر او الفروة المذكورة .

(١) جاءت صورة الفربونة ، أي الحلحل الأشعر في معجم لاروس الوسيط بحيث لا يشك الناظر اليها شكاً دقيقة واحدة . والذي رآها زهرة في نواحي الموصل ، قال : كأن المؤلف قلها عما شاهده في ديارنا العراقية . فهي نثرى بكثرة في فصل الربيع .

(٢) معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية - تأليف الأمير مصطفى الشهابي .

مطبعة الجمهورية السورية سنة ١٩٦٣ . صفحة ٢٣٦ بطر ٨

وزد على ذلك انها تؤكل ، وما يثبت هذه الحقيقة ، ككلام معجم لاروس الوسيط ، الفرنسي العبارة ، إذ قال ما نقله الى لغتنا .
 « الفريونة وبلغة العلم Muscari comosum وبالفرنسية Muscari chevelu وهو ايضاً الحلجل الأشعر او الشعر (ككتف) ، هو ما يسميه عوام فرنسا Viciet وما معناه الثوم المجمم ، ثم الحلجل الممسك M. Racemosum معروفان في فرنسا ويرغب الناس في ان يكونا في جنائهم للزينة ، ولا سيما ان بعض ضرورهما تبيض فيها الأسدية في جميع ازهار النبات الواحد ، فتجبيء عناقيدها شعيرة جميلة جداً . وبصل هذه الأنبثة تؤكل لأنها نافعة لدفع التشنج ، اذهى تعريباً
 ٣ - الخلاصة

حل لنا الدكتور داود الجلي اعظم مشكل من مشاكل نبات العراق . فقد حاول كثيرون معرفة ما يقابل عند الافرنج لكلمة (الفريونة) المشهورة على لسان كل صبي موصل ، فلم يهتدوا اليها واما الدكتور الجلي فقد أفادنا بأنها المسماة بلسان العلماء Muscari comosum وباللغة الفرنسية Muscari chevelu فنشكره على ما عناه من النصب ، اذ قضى ثلاثة ايام ببلد ليبيا - على ما كتبه اليانا حضرتته - وهذا ما يعترف بفضل كل ادب ، عريباً كان أو غريباً .

الأب أنستاس ماري الكرملي

—••••—

تعقيب

أطلقت في معجم الألفاظ الزراعية على جنس النبات المسعى Muscari ككتي حنجل وبصل الزيز . وذكرت في الشرح ان هاتين الكلمتين وردتا في مفردات ابن البيطار ، وانني لم اجدهما في الأهمات من كتب اللغة . ووضعت أمام النوع المسعى بالفرنسية M. chevelu وبلسان العلم M. comosum كلمة حنجل أزب ، أي انني ترجمت Chevelu بأزب ، فاذا بالأب أنستاس ماري الكرملي ينكر

عليّ هذه الترجمة في مقال له في هذا العدد من المجلة عنوانه « الفريونة »^(١) مدعيًا أن الأزب معناه الكثير شعر الوجه ، وان الترجمة الصحيحة هي الأشعر والشعر . قلت لقد وهم الأب المحترم في حصره معنى الأزب بالكثير شعر الوجه . ولو راجع المعاجم لوجد في التاج مثلاً ان الزب في الناس كثرة الشعر وطوله ، وفي الابل كثرة شعر الوجه والعشون ، وان الزب مصدر الأزب وهو كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين ، وانه يقال امرأة زباء اي كثرة شعر الحاجبين والذراعين واليدين ، وأذن زباء كثرة الشعر ، ومن المجاز داهية زباء كما قالوا شعراء اخ ٠٠٠ ولو راجع الأساس لوجد ان الزب تطلق على كثرة الشعر في الجسد ، وانه من المجاز قولهم « عام أزب أي خصيب » قلت ومن بدائه الأمور ان هذا الاستعمال مرده الى وفرة الكلاً في العام الخصب .

وبتضح من ذلك ان الأزب تطلق على الكثير الشعر أياً كان ، وانها تستعمل مجازاً ، وان استعمالها ترجمة لكلمة Chevelu أمر لا غبار عليه ، وانه لا يجوز قصر معاني الألفاظ على الأمثلة التي ترد في المعاجم ، وذكر هذه الأمثلة فيها لا يفيد الحصر وهو شيء معروف . ولهذا استعملت في معجمي الأزب والأشعر والشعر والوبر للانسان والحيوان والنبات على السواء

مصطفى الشهابي

ملاحظات لغوية

نشر الأب أنستاس ماري الكرملي في الجزء الحادي عشر من المجلد العشرين من هذه المجلة مقالاً بعنوان « الكلم العربية في اللغة الفريونية » ردّ فيه بعض الكلمات الفرنسية الى أصول عربية .

وقد راجعت عدداً من المعاجم الباحثة عن أصول الكلم الفرنسية ، ومنها معجم أسكار بلوخ Oscar Bloch المطبوع سنة ١٩٣٢ في باريس^(٢)

(١) الفريونة كلمة عامية تطلق في بعض أنحاء العراق على أحد النباتات .

(٢) Dictionnaire étymologique de la langue française اسمه

وهو في مجلدين لا يشتملان الا على أصول الكلم وتواريخها . والذي يدق في الفاظ هذا المعجم وينهم النظر في المراجع القديمة والحديثة التي نقل المؤلف عنها يجزم أنه ثقة في أبحاثه .

فألفيتها تذكر ان بعض الكلمات التي حاول الأب المحترم ردها الى أصول عربية هي من أصول أخرى . وهاكم بعض هذه الكلمات :

Acheter - لم يرد في أي معجم من المعاجم القديمة او الحديثة ان هذا المصدر الفرنسي يمت الى « اشترى » العربية بصلة ، خلافاً لما ذهب اليه الأب المحترم ، بل رجحوا انه من أصل لاتيني ، وفي معجم بلوخ الذي أشرت اليه نحو نصف صفحة عن أصل هذا اللفظ وعن تحويره بالاستعمال على كسر السين . وليس من المعقول ان يحتاج الفرنسيون الى استعارة مثل هذا اللفظ من العرب وان يستعملوه مئات من السنين دون ان يذكر أحد من علماء اللغة عندهم شيئاً عن صلته بالكلمة العربية .

Agréer - ليست هذه اللفظة من أغري ' يغري ' ، خلافاً لرأي الأب أنستاس ، بل هي وأشباهاها مشتقة من gré وهذه من اللاتينية Gratum ، وهذه الأخيرة من النعت Gratus بمعنى Agréable وكل ذلك منذ القرون الوسطى .

Agrate - ليست من العقرب العربية بل من فعل قديم هو Grafer ومعناه تثبيت الشيء ، بعقافة وهذا الفعل من Grafe بمعنى العقافة . والاسم الأعجمي الأخير من أصل ألماني قديم هو Grapfo على ما رجحوه .

Aine - من اللاتينية العامية Inguinem لا من العانة العربية وهي باللاتينية Inguen ولها اسماء مشابهة لهذا الاسم في الايطالية والاسبانية والبروفنسية القديمة .

Aigle - من البروفنسية القديمة Aigla أو من اللاتينية Aquila . ولا دليل على انها من العاقلة العربية .

Alezan - تطلق هذه الكلمة الفرنسية على الفرس الأشقر ، لا على الكهيت ، خلافاً لما ذهب اليه الأب أنستاس . والكهيت بالفرنسية Bai (أنظر الفرق بين الأشقر والكهيت في مادة Robes من معجم الألفاظ الزراعية) .

وكلمة Alezan مستعارة من الاسبانية Alazan وهذه من أصل مجهول . ولم يقم دليل علمي على كونها من الحصان العربية . ولكن ردها الى الحصان محتمل لاختلاط الاسبانيين بالعرب قرونًا في الأندلس .

م . س



زوج Sexe

يترجم أغلب المؤلفين العرب كلمة *sex* بـجنس، حال كون الجنس يقابل *genre* المأخوذة من *genos* اليونانية، وجنس أيضاً محرّفة من *genos*، ويستحب في الاصطلاحات العلمية ان يكون للكلمة الواحدة مدلول واحد. فعلى ان تقابل *genre* بـجنس ونجد لكلمة *sex* كلمة اخرى وإن استعمل كثير من المؤلفين كلمة *جنس* لإفادة معنى سكس كصاحب بحر الجواهر فإنه قال (الجنس كلّي مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق في جواب ما هو، هذا في اصطلاح للنطقيين. واما عند الأطباء فيراد به معناه اللغوي كما يقال جنس الذكورة والأنوثة، فان الجنس في اللغة ما يعم كثيرين ولا يشترط فيه اختلاف الحقائق، ولا شك ان الذكورة والأنوثة كذلك).
اراد الدكتور محمد شرف في معجمه ان يستبدل كلمة شقة بـجنس فقال :
SEX (جنس) - شقة (ج شقائق) «انما النساء شقائق الرجال» وقد عرّفها المحدثون بكلمة جنس والحال ان الجنس يقابله *Genus* بالفرنسية ولهذا وجب التمييز لأمن اللبس. ٥١٠. اقول نعم يجب التمييز لأمن اللبس. ولكن الشقائق الواردة في الحديث الشريف ليست جمع شقة بل جمع شقيقة مؤنث شقيق بمعنى الأخ، وجمع شقة شقق وليس شقائق، وشقة لا تفيد معنى سكس. ثم ان الدكتور خالف نفسه بعد قليل فاستعمل ما أنكره فقال ارتكاس جنسي وانتخاب جنسي وتنقية جنسية الخ.

ان الكلمة العربية الصحيحة المقابلة لكلمة *sex* هي الزوج. فلقد وجدت كلمة زوج ات بهذا المعنى في القرآن الكريم في آيات كثيرة، اليكها:
(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجاً وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ٠٠٠) سورة فاطر، آية ١١ .

(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم وما لا يعلمون) يس ٢٦
(فاطر السماوات والأرض جعل لكم من انفسكم ازواجاً ومن الأنعام ازواجاً بذروكم فيه ٠٠٠) الشورى ١١ .

(لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً) الشورى ٤٩ و ٥٠
«قال أبو منصور أراد بالتزويج التصنيف ، والزواج الصنف ، والذكر صنف والأُنثى صنف . التاج مادة زوج» .

(ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) . الداريات ٤٩ . «وفسروا الزوجين بالذكر والأنثى» .

(وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى) . النجم ٤٥ .

(أُحْسِبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى . أَلَمْ يَكْ نَظْفَةً مِنْ مَنِي بَيْنِي . ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً نَخْلَقُ فَسَوْءَى ، فَجَعَلَ مِنْهُ الْزُوجِينَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) الْقِيَامَةُ ٣٦ - ٣٩ .
(وخلقناكم أزواجاً) . النبأ ٨ .

فهذه الآيات الكريمة لا تدع محلاً للشك في أن سكس يقابله الزوج بالعربية . ولم تفت هذه الحقيقة مجمع فؤاد الأول للغة العربية فقد وضع كلمة زوج مقابل SEX في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها . ولكنه لما علم أن كثيراً من المؤلفين استعملوا كلمة جنس في هذا المعنى شفعوا كلمة زوج بكلمة جنس (ص ١٩) . وليتهم اقتصروا على كلمة زوج وخصصوا كلمة جنس بـ genus .

(الموصل) الدكتور داود الجلي

التنبيه والتوجيه

اني كاتب هذه المقالة وناشرها قصداً مني الى التحقيق ورغبة في التنبيه والتوجيه ، ولطالما تمنيت ان أقرأ ما ينشر في هذه المجلة الكريمة الوسيمة غير متلبث ولا متمكث لاؤفر على نفسي راحتها ولا أستجيم قلبي بشيء من القناعة والعزوف عن البحث والتحرري اللذين لم يجبا علي ولا وكلا إلي ، فلم أحل من ذلك التمني بطائل ، ولا أعفيتُ المجلة من التعاليق والاستدراك ، فعلى الله تعالى أتوكل ، واليه أبتهل فأقول بعد التمثل بقول الراجز «لا بُدَّ مما ليس منه بد» هذه الملاحظات الضرورية موجزاً فيها :
١ - جاء في ص ١٥ من المجلد الثامن عشر من المجلة «ولنا ٠٠٠ ما يكفل إعادة

النظر» . ويكفل من الكفالة تتمدى بالباء لا بنفسه وفي أساس البلاغة « وهو كفيل بنفسه وبإله وكفل عنه لغريمه بالمال وتكفل به » فالصواب ما يكفل باعادة النظر ، اما للانسان فيقال « يكفله » .

يتبع : (بغداد) مصطفى جواد

حول (القنبلة)

قرأت في مجلة المجمع العلمي العربي (م ٢ ج ٧ - ٨ و ٩ - ١٠) ما جادت به قريحة الأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر المغربي عن نشأة (القنبلة) وتكونها فدفعني حب الاستطلاع والتحقيق ان ارجع الى ما بين يدي من المعاجم التركمية فتبين لي ان اصل (القنبلة) فارسي وهي محرفة عن (خمبرة) .

جاء في مادة (خمبرة) في (رسملي قاموس عثماني) لصاحبه علي سيدي المطبوع في الآستانة سنة ١٣٢٤ رومية : (خمبرة) فارسية معناها (كله) مجوفة . و (كله) تركمية تطلق على مرمي المدافع وكانت قديماً على شكل كرة والآن هي اسطوانية دقيقة الرأس ا هـ . أما (خمبرة) فمركبة من (خهم) اي (حق) دن خمر ؛ و (پاره) اي قطعة . والأترك اخذوها عن الفارسية وهم يلفظونها (قومباره) ولا يزالون الى يومنا هذا يطلقونها على (حق) صغير من فخار عليه شق مستطيل يتسع لمرور (متليك) او قرش مثلاً ، يجمع (يصمد) فيه أولادهم ما يأخذونه من آبائهم او اقاربهم من النقود . و (الحق) الصغير هذا كروي يشبه القنبلة الصغيرة وتسميه العامة في الشام (مطهورة) وفي الكتب المدرسية (حصالة النقود) . وفي كتب التاريخ التركي تمر كلمة (خمبره) في سياق الوقائع الحربية ويلفظونها (هومباره) بالهاء كما هي عادتهم ، ويقولون (خمبره جي) اي ملقي القنابل او صاحب القنابل الخ .

فاذا لفظوها (هومباره) ارادوا بها القنبلة الحقيقية واذا لفظوها (قومباره) بالتماف ارادوا بها ذلك (الحق) الصغير الذي يجمع فيه صفارهم النقود .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

الصفحة فهرس الجزء الخامس والسادس من المجلد الحادي والعشرون

- ١٩٣ من عمل الجمعيين للأستاذ محمد كرد علي
 ٢٠٥ ابو الهذيل العلاف (٢) للدكتور جميل صليبا
 ٢١٨ اقرب الموارد (٢) للأستاذ احمد رضا .
 ٢٢٢ الملك الظاهر يبرس (٢) عبد القادر المغربي
 ٢٣٦ ضرب الحوطة على جميع الغوطة لابن طولون (٢) للدكتور اسعد طلس
 ٢٤٨ تاج الدين الكندي للأستاذ محمد احمد دهمان

(مخطوطات ومطبوعات)

- ٢٥٦ شروح سقط الزند (قسمها الأول) للأستاذ عبد القادر المغربي
 ٢٥٨ من وحي المرأة محمد البزم .
 ٢٦٢ منبع الأخلاق والدين للدكتور جميل صليبا .
 ٢٦٤ معانيات الوجدان البديعية = = =
 ٢٦٥ مركب النقص = = =
 ٢٦٨ موجز الطب الجراحي مرشد خاطر .
 ٢٧٠ فن التوليد = = =
 ٢٧١ دمشق القديمة للأستاذ جعفر الحسني
 ٢٧٢ بيارستان نور الدين = = =
 ٢٧٢ صومر = = =

(آراء وأبناء)

- ٢٧٣ الحكومة المصرية تبرع بالنقود لمكتبة المعري
 ٢٧٤ الاستعمال محكم للأستاذ محمد كرد علي
 ٢٧٩ الفربونة للأستاذ أنستاس ماري الكرملي
 ٢٨٢ تعقيب للأستاذ مصطفى الشهابي
 ٢٨٣ ملاحظات لغوية = = =
 ٢٨٥ زوج Sexe للدكتور داود الجلي
 ٣٨٦ التنيه والتوجيه مصطفى جواد
 ٣٨٧ حول القبلة محمد صلاح الدين الكواكبي

